وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب و اللغات الأجنبية

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في:

الأدب العربي المعاصر في ضوء الاستشراق

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

العنـــوان:

الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين

"المدرسة الفرنسية أنموذجا"

من إعـــداد الطالب:

✍ أندلوسي محمد

تحت إشراف الدكتور:

* بن اعمر محمد

لجنة المناقشة :

أ. د. زبير دراقي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان – رئيسا
د. محمد بن اعمر	أستاذ محاضر – أ -	جامعة تلمسان – مشرفا و مقررا
أ. د. أحمد طالب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان – عضوا
د. خناثة بن هاشم	أستاذ محاضر – أ -	جامعة تلمسان – عضوا
د. محمد مذبوحي	أستاذ محاضر – أ -	جامعة س/بلعباس – عضوا
د. عبد الحفيظ بورديم	أستاذ محاضر – أ -	جامعة تلمسان – عضوا

السنة الجامعية: 2009-2010

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الأمين صلى الله عليه وعلى أصحابه المهتدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. و نحمد الله حمدا كثيرا مباركا على عونه ورعايته ونسأله التوفيق والسداد من عنده آمين.

أما بعد، فمنذ ظهر الاستشراق في الأدبيات العربية والكلام مستمر –والجدل أكثر منه– عن معناه، عن نشأته و عن دوافعه وأكثر من ذلك عن منافعه ومضاره، أو بالأحرى هل كان دور الاستشراق علميا بحتا أم غير ذلك؟ هل ساهم في بعث النهضة العربية لأسباب بريئة نزيهة أم أن الاستشراق كان ولا يزال أحد أسلحة الاستعمار والإمبريالية الغربية في بسط سيطرتها على الشرق عامة والعالم العربي الإسلامي خاصة؟تساؤلات كثر البحث والتأليف فيها للوصول إلى إجابة شافية، وبعد أن كان الجدل المعرفي العلمي محصورا في هذه التساؤلات السالفة أصبح في عصرنا متجها نحو منطقة أخرى أو إشكالية أخرى هي: هل ما زال الاستشراق موجودا محتفظا بفاعليته وقوته؟ هل استنفذ أغراضه كلها؟هل انتهى زمنه أم أنه ببساطة غير جلدته دون تغيير جوهره ليتماشى وروح العصر؟. لايزال البحث مستمرا في علاقتنا بالغرب في ثنائية الأنا والآخر محاولا ردم الهوة أحيانا بيننا نحن العرب والغرب، وحينا آخر محاولا التحرر من هذه التبعية التاريخية المتراكمة منذ مئات السنين. وبالتالي يظهر لنا مدى حساسية الموضوع الذي درسه الكثير من أبناء أمتنا من جوانب عدة عالجوا فيها حضور الاستشراق كعلم من ناحية وكمؤسسة من ناحية أخرى،. ولعلنا حين نذكر الاستشراق فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو الكتاب الذي يحمل العنوان نفسه للمفكر الفلسطيني

الراحل إدوارد سعيد والذي يعد في ذاته نقطة تحول في البحث الأكاديمي حول المسألة لسعة مادته وغزارتها.

لا بد من القول أن البحث في مجال الاستشراق سواءا كان ذلك تاريخيا أو سياسيا أو معرفيا يشبه المغامرة في نصبها ومتعتها، وقد ارتأيت أن يكون موضوع مذكرتي هذه مزيجا بين الاستشراق والأدب فاخترت موضوع الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين: المدرسة الفرنسية نموذجا.

دفعتني أسباب كثيرة لاختيار هذا الموضوع، لعل على رأسها جاذبيته وإغراؤه، فهو موضوع جدي وقوي وله جذور تمتد مئات السنين في تاريخ العلاقة بين العالم الغربي والعالم العربي الإسلامي، علاقة لطالما اتسمت بأحكام سبقية وآراء متطرفة من الجانبين ، اضف الى ذلك اننا نبحث في مناطق الالتقاء والتفرق بين حضارتين، أمتين وثقافتين مختلفتين في الأصول والعادات والثوابت. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الموضوع يطرح مشكلة حقيقية في نظرة طرف إلى الآخر بكل ما تحمله من إنصاف أو تجن، فالاستشراق ارتبط منذ بداياته الأولى بالترجمة، منذ أولى الترجمات للقرآن الكريم إلى اللاتينية مرورا ب ترجمة كتب الفلاسفة والرياضيين والعلماء العرب المسلمين في جميع الحقول المعرفية إلى اللاتينية والتي استمرت منذ القرن الثاني عشر ميلادي وأسست لنهضة أوروبا الحديثة بقسط وافر، وهذه الترجمات لها مالها وعليها ما عليها، وهي ترجمات في أغلبها علمية فكرية، أما الترجمة الأدبية فإنها كانت ولو بنسبة ضئيلة للأعمال التراثية ككليلة ودمنة وكتابات الجاحظ وكتاب الأغاني وغيرها من الأعمال الأدبية والتاريخية المتنوعة وصولا إلى ترجمة ألف ليلة وليلة والتي كان لها أثر في الأدب والفكر

الأوروبي قلما أحدثه عمل أدبي آخر سواءا كان قديما أو حديثا. وهي كلها خطوات وترجمات يجب دراستها في سياقها التاريخي الشامل لجلاء موضوعيتها من عدمها.

أما في العصر الحديث فقد كانت ترجمة الأدب العربي الحديث إلى اللغات الأوروبية ضئيلة جدا إن لم نقل معدومة، إلا أنها ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين قد بدأت تعرف حركية متصاعدة خاصة نحو اللغة الفرنسية وذلك ما استدعى بحوثا جديدة وبالتالي فتح أبواب جديدة للنقاش والجدل، فالترجمة الأدبية عند المستشرقين عموما والمستعربين خصوصا تثير نوعا من الريبة وتتطلب القراءة الحذرة نظرا لحساسيتها ، إذ إن المترجم لا ينقل كلمات جامدة أو نصوصا ميتة خاوية دون روح، بل هو ينقل صورة حية بكل ما فيها من نقائص وسلبيات وكذا جوانب مضيئة إلى مجتمع مختلف في عقليته وروحه ومبادئه وبالتالي فإنه ومن خلال هذه الترجمة يساهم في رسم صورة و تشكيلها قد تكون صحيحة وأقرب إلى الواقع والروح الحقيقية للمجتمع العربي كما قد تكون مغلوطة محرفة مشوهة لسبب أو لآخر. وبالتالي فإن التساؤل عن مدى كفاءة هؤلاء المستعربين وصدق نياتهم وموضوعية أعمالهم أمر مندوب ومطلوب بشدة.

ومن الأسباب الأخرى المهمة جدة الموضوع وقلة البحث فيه من هذه الزاوية المعرفية الخاصة، فقد نجد بحوثا كثيرة حول الاستشراق وعلاقته بالتراث العربي الإسلامي والدوائر الأخرى كالتبشير والاستعمار والمخابرات وغيرها، كما نجد بحوثا أكثر في السنوات الأخيرة عن الترجمة عامة والترجمة الأدبية خاصة في مقوماتها ونظرياتها المؤسسة لها، ومن ثم دراسة واقعها بكل تحولاته وظروفه، لكننا لا نجد ربطا بين الموضوعين وكأن لا علاقة بينهما، وهو رأي يطرحه جانب عريض من الباحثين إذ قد يتساءل سائل عن علاقة الاستشراق بالترجمة الأدبية في العصر الحالي خاصة في إطار تساؤل أكبر وأكثر

حدة وجدلا سبق ذكره وهو: هل لا يزال هناك استشراق؟ والتشكيك في وجوده واستمراريته لا يعني بالضرورة أنه ليس موجودا، وبالتالي ومن خلال اتخاذنا الرأي القائل بوجوده وديمومته أساسا من أساسات هذا البحث فإننا نطرح التساؤل نفسه بمشروعية وقوة:ما علاقة الاستشراق المعاصر –الفرنسي خاصة- بالترجمة الأدبية وهو ما أجبنا أو حاولنا أن نجيب عنه في هذا العمل.

لماذا الإستشراق الفرنسي خصيصا؟ والجواب هو أن فرنسا أقرب إلى العالم العربي من غيرها من الدول الأوروبية تاريخيا وجغرافيا، و فرنسا من أكبر الدول نظرا إلى وجود الجالية العربية المسلمة في أوروبا، وأيضا كانت فرنسا ما زالت حاملة لواء الثقافة والحضارة الأوروبية وحاملة لواء مبادئها وحركيتها، وباريس هي قلب أوروبا الثقافي الحضاري، وأكثر تحديدا بالنسبة إلينا نحن المغاربة لا زالت اللغة الفرنسية أقرب اللغات الأوروبية إلينا وإلى ثقافتنا سواء في المستويات النخبوية أو الأكثر عامية،و الثقافة الفرنسية أقرب الثقافات ليومياتنا في المغرب العربي وأكثرها تأثيرا أيضا.

لقد بنيت بحثي هذا على مقدمة و مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة،في المدخل بحثت موضوع الترجمة عامة في ماهيتها و أهميتها الحضارية و الوجودية قديما و حديثا، ثم الترجمة الأدبية و تعريفاتها اللغوية و الاصطلاحية و ما يتوجب توفره في المترجم الأدبي من مواصفات و شروط لأصل أخيرا إلى محاولة بيان علاقة الإستشراق بالترجمة منذ نشأته و التقائه بالحضارة العربية الإسلامية من خلال الحقبة الأندلسية و ما قبلها أيضا.

في الفصل الأول حاولت أن أضع الاستشراق عامة كعلم و كظاهرة حضارية ومعرفية في إطاره التاريخي، فبحثت في تعريفاته لغة واصطلاحا ثم نشأته و دوافعه التي

أوجدته، ثم مراحله التي وسمت تطوره التاريخي وصولا إلى ذكر أهم المدارس الاستشراقية و أهم رجالات كل مدرسة.

أما الفصل الثاني فبعد مقدمة في علاقة فرنسا بالتراث العربي خاصة المخطوط العربي حاولت أن أبين الخطوات التطبيقية التي طبعت تعامل الاستشراق الفرنسي مع التراث العربي الإسلامي من خلال كراسي اللغات الشرقية التي أنشئت لتدريس اللغة العربية و علومها،ثم المكتبات العامة الخاصة التي اختزنت و لا زالت كما هائلا من الكنوز التراثية العربية في شتى العلوم والميادين،إضافة إلى الصحف و المجلات و غيرها.

ثم تطرقت في لمحة إلى ثلاثة من أهم اللحظات التاريخية الفارقة التي ميزت الاستشراق الفرنسي في تعامله مع العالم العربي الإسلامي منذ أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم و ما كان لها من أثر في الأوساط الدينية والاجتماعية، مرورا بترجمة كتاب ألف ليلة و ليلة والذي يعتبر حدثا فارقا ومميزا جدا.لأصل أخيرا إلى ذكر أهم رجالات الإستشراق الفرنسي منذ عصر الرواد إلى العصر الحديث.

و في الفصل الثالث حاولت إبراز علاقة الاستشراق الفرنسي بالأدب العربي القديم والحديث من خلال الترجمة الأدبية، و كل ما مرت به عمليا ترجمة ودراسة هذا الأدب الحديث في فرنسا، و مدى انتشاره في الأوساط الثقافية الفرنسية و قوة أو ضعف حضوره الإعلامي مع التركيز على العوائق والمشكلات التي تعترض طريق انتشاره وتبوئه المكانة التي تليق به بين الآداب الأخرى.

و اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي سبيلا و منهجا في هذه الدراسة، لأنه حسب رأيي الأنسب لسبر أغوار الموضوع المطروح في يسر و تؤدة، كما يتيح لي التمكن من مفاتيحه و بالتالي التعامل معه بموضوعية دون تفريط أو إفراط.

صعوبات كثيرة اعترضتني في هذا البحث لعل أهمها قلة الدراسات والتآليف التي تناولت الموضوع، إذ وجدت مؤلفات جمة اعتنت بالبحث في الاستشراق من الجانب الديني في تعامله مع القرآن و السنة النبوية الشريفة، أومن الجانب التراثي في تعامله مع مصادرنا التراثية الكبرى في الأدب و اللغة و الفلسفة و الطب و غيرها،لكن الجانب المتعلق بعلاقة الإستشراق بالأدب العربي خاصة الحديث منه قليلة رغم وجودها.

و من بين أهم هذه المصادر التي استعنت بها في بحثي كتاب"فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"لمؤلفه احمد اسمايلوفيتش، والذي يعد بحق جهدا علميا رائعا،وكذا كتاب"الاستشراق"للمفكر الفلسطيني الراحل ادوارد سعيد و الذي كان ولازال نقطة فارقة في مسار الدراسات الاستشراقية .

في آخر البحث كانت الخاتمة تتويجا للبحث و استخلاصا للنتائج المهمة التي توصلت إليها في تسجيل تحليلي خاضع لقراءة متواصلة لكل ما سبق ذكره في المتن الرئيسي.

مـــــــدخـــــــــل

تقدم الترجمة دورا عظيما في التطور الثقافي للإنسانية، فيطلع الناس في بلد مّا بواسطة الترجمة، على حياة البلدان الأخرى، حضارة وثقافة بالإضافة إلى منجزاتها في ميادين العلوم والفكر المختلفة، وتتناول الترجمة دائرة واسعة من مجالات النشاط الإنساني، فمن لغة إلى أخرى تترجم الأشعار والكتب الأدبية الفنية والمؤلفات الاجتماعية والكتب العلمية والبحوث والمقالات الصحفية، إضافة إلى خطب الشخصيات العامة والشخصيات السياسية، وأحاديث القادة وصناع الأحداث، دون أن ننسى الأعمال السينمائية وكل ما تعلق بالمجال السمعي البصري إلى غيرها من مصادر المعلومات العامة منها والخاصة.

وهي – أي الترجمة – علاوة على ذلك ضرورة إنسانية، وأداة هامة لنقل حصيلة العلوم والمعارف والآداب، وعامل مؤثر جدّا من عوامل النهضة، وذلك ما يثبته تاريخ الحضارات الغابرة والحاضرة أيضا[1]، والترجمة من هذا المنطلق كانت ولازالت وستظل تمثل جسرا عظيما يربط بين جموع البشرية في مختلف الأصقاع ومن مختلف الأزمنة مما يتيح فرصة أكبر للتلاقح والتزاوج الذي يثري التجربة الإنسانية بأشكال مختلفة وليس أدل على عظم أهمية الترجمة من أنها – خاصة في عصرنا- أصبحت مهنة يحترفها دارسون ومتخصصون فيها تخصصا كاملا.

وفي سياق هذا التبادل الثقافي بين الشعوب يحظى التعرف على الآداب الأجنبية بأولوية متميزة أحيانا، لاسيما وأنه قليل الكلفة- نسبيا-، ويتيح التواصل مع جموع كبيرة،بالإضافة إلى هذا وذاك فإنه يشكل قناة متميزة للتعرف على الثقافات

---

[1]) علم الترجمة النظري.د.اسعد مظفر الدين الحكيم.دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.ط01. 1989 م.ص.25.

الأخرى،فالأدب يكاد يعطي الجواب الشافي – على أغلبية الأسئلة المتعلقة بماهية المسائل المهيمنة على تفكير وأحاسيس البشر أو الشعوب، والخاصة بالطريقة التي يفكرون بها في مواجهة هذه المسائل، أو الدائرة حول التراث الذي يختزنونه في ذاكرتهم ويمثل مرجعية لهم في حياتهم العامة [2].

قبل أن نبدأ بخطوات البحث في موضوعنا العام-الترجمة الأدبية وعلاقتها بالإستشراق – نرى أنه من المستحب والمفيد أن نمهد بالحديث عن الترجمة في إطارها العام والخاص – الترجمة الأدبية- حتى يتسنى لنا وضع أقدامنا على السبيل الصحيح الذي يتيح لنا المضي بثبات في ربط عناصر هذا البحث نحو أوضح النتائج وأسلمها.

ما هي الترجمة؟ وما هي شروطها؟ وعلى أي أساس يقوم عمل المترجم؟..تساؤلات سنحاول جلاءها بالإضافة إلى عناصر أخرى مهمة لهذا المدخل.

1-ماهية الترجمة:

أ-.لغة:

جاء في لسان العرب: "الترجمان والترجُمانُ: المفسر للسان وفي حديث هرقل: قال لترجمانه، الترجمان بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع تراجم". [3]

---

[2])في الترجمة.انجليكا نيورث. مجلة فكر وفن.معهد غوته.ألمانيا.العدد79 السنة الثالثة والأربعون.2004م

2)"لسان العرب".ابن منظور الإفريقي المصري.دار صادر بيروت.المجلد الثاني عشر.مادة:"ترجم".ط.6.1417هـ 1997م.ص.66.

وفي القاموس المحيط:" الترجمان: المفسر للسان"[4] ثم نجد في "الصحاح في اللغة والعلوم"."يقال قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان، والجمع تراجم. ويقال ترجمان وترجمان والترجمة: النقل من لغة إلى أخرى."

وجاء في "معجم متن اللغة": "ترجم كلامه:بيّنه وأوضحه وترجم الكتاب وترجم عنه: فسّره بلسان آخر. والترجمان، والتّرجمان والترجمان: الناقل الكلام من لغة لأخرى، والمفسر للسان".

أما في "المنجد في اللغة والأعلام": فنجد:"ترجم الكلام: فسره بلسان آخر، فهو ترجمان والجمع تراجمة وتراجم و يقال: ترجمه بالتركية: أي نقله إلى اللسان التركي، وترجم عليه: أوضح أمره.

والترجمة: التفسير. وترجم الرّجل:ذكر سيرته والترجمة: ذكر سيرة شخص وأخلاقه ونسبه.والترجمة الكتاب: فاتحته".[5]

ب-اصطلاحا:

الترجمة هي "شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر.من لغة أخرى إلى لغة المتلقي أوالمستمع".[6] وهي "في الأصل نقل الكلام من لغة إلى أخرى قصد إيضاح معنى الكلام وتبيين القصد منه."[7] وهي أيضا "نقل الكلام المعبّر عنه بلغة ما إلى لغة مطلوب فهم هذا الكلام بها سواءا كان هذا الكلام شفهيّا أو مكتوبا".[8]

---

1) القاموس المحيط،مجد الدين الفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي.مؤسسة التاريخ العربي.بيروت.الجزء الأوسط،1417هـ/1997م.مادة"ترجمان".ص1428.

[5])المنجد في اللغة والأعلام،دار المشرق،بيروت.10.2003م.ص.60

[6])الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية،سالم العيس،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط.1999م. ص06.

[7])الترجمة والتأويل،بريهمات عيسى،المجلة الجامعية،المركز الجامعي،الأغواط.العدد01.ماي 2003م.المجلد67/03.

[8]) المرجع نفسه. 03/ 67.

وتعتبر الترجمة "واحدة من الظواهر اللغوية التي تشملها عناية اللسانيات التطبيقية الحديثة وهي مهما تعددت تعريفاتها لا تخرج إجمالا عن كونها عملية تواصل تحصل بتحويل علامات لغة إلى علامات لغة ثانية، فهي تعني كل شكل من أشكال التوسيط بين طرفين أو أكثر يستعمل كل واحد منهما لغة تختلف عن لغة الطرف الآخر، وهي قناة وجسر في عملية التواصل بين مجموعتين لغويتين مختلفتين سواءا كان التواصل تخاطبا أم تراسل."[9]

ونجد دوما أنه لابد في الترجمة من عنصرين أساسيين أو بالأحرى نوعين من النصوص: النص الأصل والنص الهدف، فاللغة التي يكتب بها النص الأصل تسّمى اللغة الأصل، واللغة التي ينقلون إليها النص الأصل تدعى لغة الترجمة، واستنادا إلى كل ما سبق نستنتج "أن الترجمة هي عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللغات إلى إنتاج كلامي في لغة أخرى مع المحافظة على المضمون الثابت أي المعنى".[10]

ويمكن أن نوزع عملية الترجمة على مرحلتين أساسيتين: مرحلة التحليل ثم مرحلة التركيب."يتلخص جوهر المرحلة الأولى في فهم المترجم للنص الأصلي، ويتلخص جوهر المرحلة الثانية في التعبير عن المعنى نفسه بوسائل لغة أخرى".[11]

وأخيرا لا بد من الإشارة إلى أن هذه التعريفات التي سقناها لا تخرج عن كونها مقاربات فقط، ويرجع ذلك لسبب بسيط ومعقد في آن واحد، وهو أن الموضوع –أي الترجمة– لازال محل سجال بين المنظرين والمترجمين من جهة، والقراء والمتذوقين من جهة

---

[9])حول واقع الترجمة و وثقافة المترجم،د.شعيب مقنونيف،مجلة المصطلح.العدد الأول/ 2002م. ص192/191.

[10])علم الترجمة النظري،أسعد مظفر الدين الحكيم،ص39.

[11])المرجع نفسه. ص202.

ثانية، فلا يمكننا بأي حال من الأحوال وضع أيدينا على تعريف اصطلاحي متفق عليه من لدن أهل الاختصاص والممارسة كافة.

2- ماهية الترجمة الأدبية:

يصفها محمد العناني بقوله:"هي ترجمة الأدب بفروعه، أو ما يطلق عليه "الأنواع الأدبية المختلفة" –litterary genres- مثل الشعر والقصة والمسرح وما إليهما. وهي تشترك مع الترجمة بصفة عامة...في أنها تتضمن تحويل شيفرة لغوية - Verbal code- أي مجموعة من العلامات المنطوقة والمكتوبة إلى شيفرة أخرى".[12]

و يفضل البعض استخدام مصطلح الترجمة الإبداعية "لأن المترجم للنص الإبداعي مبدع في النص المترجم – وإن كان بعض الباحثين يروها عملية إعادة إبداع – لما تتميز به هذه النصوص من طاقة تصورية تخيلية مكثفة، تجعل الترجمة ممارسة تأويلية في علاقتها بالنص، والمعنى، والتواصل والتلقي... فتصبح بذلك الترجمة إعادة إنتاج وتحويل وتوليد للنّص ولغة ثالثة، توحّدّ بين لغتين وثقافتين عن طريق التفاعل والتثاقف."[13]

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن الترجمة الأدبية ليست علما أو فنّا مستقلا بذاته، إذ هي ضرب من ضروب الترجمة – في عمومها- ينحصر في الأدب وفروعه خاصّة دون غيره، وهي- باتفاق أهل الاختصاص – أصعب أنواع الترجمة وأخطرها، ولنجاحها – النسبي – لا بد لها من شروط تتحقق فيها وفي شخصية المترجم وثقافته.

3- ***شروط الترجمة***:

---

1)الترجمة الأدبية بين لنظرية والتطبيق،د.محمد العناني،مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان.ط01 .1997ص.8/7

[13]) النص العربي بين الترجمة والتأويل حورية الخمليشي.موقع جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات.WWW.ATIDA.COM

- هي حسب أسعد مظفر الدين الحكيم- تتلخص في النقاط التالية:
- أ-البيان.
- ب- معرفة اللغة المنقول منها.
- ج- معرفة اللغة المنقول إليها.
- د- معرفة الموضوع المنقول.
- هـ-ثقافة عامة.

كما يزيد بعض الدارسين على الشروط السابقة الذكر شروطا لا تقل أهمية منها "خفة الروح وحضور البال واتساع مجاري الخيال،مع القدرة على السبك والحبك، والتعبير الفصيح السليم، والمطالعة المستمرة، والمران الذي لا يعرف الكلل ولا الملل".[14] ولا بد للمترجم –كذلك-"من أن يتمتع بكفاءة عالية وحس أدبي وفني مرهف بالنسبة لنتاجه وانسجام بليغ مع مؤلفه حتى يتمكن من نقل الكلمات والصور بدقة وبأقل ما يمكن من التفريط بالأمانة".[15]

و من أهم من اهتم بالترجمة وشروطها قديما الجاحظ الذي بحث الموضوع، خاصة موضوع خطأ الترجمة وأثره على فساد معنى النص الأصل حيث يقول: "فكيف أسكن إلى ما في كتاب رجل لعله إن لو وجد هذا المترجم أن يقيمه على المسطبة، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه، ومن إفساد معانية بسوء ترجمته"[16]. ويركز الجاحظ جدّا على ثقافة المترجم ويعتبرها أهم شروط الترجمة، فيقول:"ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في

---

[14])علم الترجمة النظري،أسعد مظفر الدين الحكيم.ص 181.

[15])علم الترجمة بين النظرية والتطبيق،د.محمد ديداوي،دار المعارف للطباعة والنشر.سوسة.ط1 .1992 ص.162.

[16])الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية،سالم العيس.ص05.

نفس الترجمة، في وزن علمه من نفس المعرفة".[17] فالمترجم يشغل مكانة ذات حساسية عظمى في عمله إذ يعتبر "وسيطا لغويّا وثقافيا يضطلع بمهام التلقي، التفسير، التأويل، والنقل بكفاءة علمية من لغة المصدر إلى لغة الهدف."[18] وهو "باعتباره مؤولا لا يركن فقط لما يصّرح به النص بل عليه أن يذهب إلى ما وراء النص، إلى الخطاب الذي قيدته الكتابة بل إلى الواقعية الفيزيقية التي أنتجته".[19]

والمترجم عموما ليس ملزما بالبحث عن الفكرة أو خلقها، بل "كل ما يترتب عليه أن ينقلها بلغة أخرى، وبعبارة أخرى فالفكرة لا تعود إلى المترجم بل إلى منشئ النص."[20] ومن خلال كل هذه النقاط نرى أن مهمة المترجم –بعد فهم النص الأصلي– هي التعبير عن المعنى نفسه، وبشكل أدق عن منظومة المعاني بواسطة لغة أخرى. وطالما أن التحويل– أي تحويل شيفرة لغوية إلى شيفرة لغوية أخرى– يتم بين لغتين، فلا بد من الخسائر الدلالية المتعلقة بالدرجة الأولى بنظام المعاني التركيبية (المعاني اللغوية الداخلية) في النص الأصلي. والمترجم ملزم بالسعي للتقليل من هذه الخسائر إلى أدنى حدّ ممكن،أي تأمين أكبر قدر من التكافؤ بين النص الأصلي ونص الترجمة، و يتطلب هذا منه "أن يحدد ما يجب المحافظة عليه في حدود النص المعين وما يمكن التضحية به بغرض تأمين التكافؤ الأقصى."[21] ومن هنا تتضح لنا أهمية وحساسية موقع المترجم وخطورة عمله، ففعل الترجمة ليس فعل النقل من لغة إلى أخرى فقط –نقصد هنا نقل المفردات والجمل والتراكيب – بل هو يتعدى ذلك إلى محاولة رسم واقع متماثل حينا ومغاير أحيانا

---

[17])الحيوان.الجاحظ،تحيق عبد السلام هارون. دار الجيل بيروت (ط2) سنة1966 . ص19

[18])المصدر نفسه ص 76.

[19])الترجمة والتأويل،بريهمات عيسى،المجلة الجامعية. المركز الجامعي.الأغواط.ص67.

[20])المرجع نفسه.ص70.

[21]) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية،سالم العيس.ص.06.

كثيرة، واقع يرتبط ارتباطا حيويّا بثقافة مجتمع وتاريخه ومختلف خبراته الحياتية، في نفس الوقت الذي يمثل فيه بنياته العقلية والنفسية،و المترجم هنا حينما يتعامل مع النص الأجنبي يتوجب عليه إذابة شخصيته وتلبس شخصية من يترجم عنه ليتحقق له مبتغاه في نقل النّص قلبا وقالبا، جسدا وروحا، وهنا تتجلى مهارة المترجم ومستوى إبداعه. وبالرغم من الخطورة الملازمة للفعل الترجمي إلا أنّها في الوقت ذاته تمثل قمّة المتعة فيه، أي في التحدي والمحاولة المستمرة في تخطي الذات والغوص والانغماس في رحلة الكشف عن مفاتيح النصوص وسبر أغوارها لإخراج ما يمكن إخراجه من كنوزها وجلاء ما يمكن وما يجدر جلاءه من محاسنها.

على أننا لا بد أن ننبه إلى أنه مهما انضبطت الترجمة فلن تستطيع –بأي حال من الأحوال – أن تعوض الأصل "فقد تكون أفضل منه وقد تكون أقل منه وقليلا ما تصل إلى حدّ المساواة... ومن هنا جاءها الشجب والطعن والمخاطر خصوصا عند ما يتعلق الأمر بترجمة النصوص الشعرية العميقة...فهي قابلة للتأويل حمّالة للأوجه لذا تستعصي حتى على المترجم الحصيف المتمرس".[22] وهذا يجرّنا –شئنا أم أبينا– إلى الحديث عن قضية حيوية جدّا بالنسبة لبحثنا هذا، وهي قضية إمكانية الترجمة من عدمها، وبصيغة أخرى فلنطرح السؤال التالي: هل الترجمة ممكنة فعلا أم مستحيلة" "؟

يرى سعيد علوش أن "الأمانة في الترجمة الأدبية إدعاء لا يسلم من القوادح"[23]،فالنص الأدبي يمتاز بطبيعة تخيلية، وهو نص مرن متحرك منفتح على أنواع مختلفة من القراءات والتأويلات التي قد تغني النص وتلده ولادة جديدة، أو على العكس

---

[22])علم الترجمة النظري،أسعد مظفر الدين الحكيم. ص.202.

[23])الترجمة والتأويل، بريهمات عيسى،المجلة الجامعية،المركز الجامعي،الأغواط،ص68.

من ذلك تحنطه وتجمده فتسلبه أجمل ما فيه لتحيله إلى قالب متحجر لا أمل في التواصل معه. إن الصعوبة بالغة – متعبة- في ترجمة النصوص الإبداعية (روايات-قصص-قصائد ومسرحيات...) ونقلها من مجالها المعرفي واللغوي الخاص الحميم إلى آخر، وممن نبه إلى هذا الأمر قديما أبو عثمان الجاحظ حيث أكد أن "الشعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل ومتى حوّل تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب منه، وصار كالكلام المنثور."[24]وقد قسم – أي الجاحظ- الأدب إلى مقصور ومبسوط، فالشعر عنده مقصور حيث يقتصر نفعه على أهله، فليس في ترجمته منفعة وفائدة ترجى، بخلاف المبسوط أوالمنثور. هذا في ما يتعلق بالأدب العربي القديم خاصة، إذ يختلف الأمر مع الشعر العربي المعاصر اختلافا كبيرا. أمّا في ما يخص النثر فالأمر لا يختلف كثيرا، فالجاحظ وإن كان لا يصرح بإمكانية ترجمة النثر،إلا أنه لا يقول باستحالتها أيضا. وهي -أي الترجمة الأدبية – من هذا المنطلق قد تنجح. يقول عبد السلام بنعبد عبد العالي: "غالبا ما لا نعتبر الترجمة ناجحة موقفة إلا إن هي استطاعت أن تلغي الاختلاف الثقافي واللغوي فتنقل النص من لغة إلى أخرى من غير أن يبدو أنّه انتقل. إننا لا نعتبر الترجمة ناجحة إلا إذا بدا النّص وكأنه "نسخة طبق الأصل"، إلا إذا بدا وكأنّه لم يترجم، إلا إذا بدا وكأنّه ينطق لغتنا، ويفصح عن ذواتنا، وينتمي إلى ثقافتنا".[25]

وستظل الترجمة عملية محفوفة بالمخاطر لأسباب عديدة داخلية ذاتية، تتعلق بجوهر اللغات وتكوينها والتفاوت القائم والمحتوم بينها، إضافة إلى أسباب خارجية متعلقة أساسا بدوافعها، وبأمانة المترجمين من عدمها. فالتفاوت الدلالي بين اللغات حقيقة لا يمكن

---

[24])جمالية الترجمة الأدبية،سعيد علوش،مجلة "علامات في النقد".جدة.عدد 45.ص.188.

[25]) عبد السلام بن عبد العالي،مجلة فكر ونقد،عدد 80/79،أبريل-ماي 2006 المغرب.ص.31-32

إغفالها أو تجاوزها، وهو أمر أقل ما يقال عنه إنه مقلق حينما يتعلق بترجمة نصوص – أدبية خاصة- من حقل دلالي في لغة ما إلى حقل دلالي في لغة أخرى. أما من جهة أخرى فالمترجم مثلما قد يصبح مثار مدح وتقريظ إذا أنجز ترجمة متقنة وهادفة – بالمعنى العام لهذه الكلمة-، فقد يغدو-أي المترجم-"كبش الفداء أو سيغدو بين المطرقة والسندان، وما نقوله هنا هو في الواقع أوّل مراحل السقوط بين المطرقة والسندان، "وقوع المترجم ضحية للمواقف غير المنصفة التي سيواجهها في الضفتين الغربية والشرقية، فالجانب العربي- ممثلا للشرق- يعتبره مسئولا عن الإهمال الذي تواجهه الثقافة العربية في الغرب، والطرف الغربي يقابل جهده ونشاطه بالإشفاق والرثاء أو بالإزدراء والاستهانة".

ولا يسعنا أخيرا سوى أن نقر أن النظرة إلى الترجمة ستبقى دوما محاطة بعين الريبة والحذر، "على اعتبار أنها، حتى في أرقى مستوياتها، لا يمكن أن تفي بالنص الأصلي وأن تؤديه تماما".[26] فهي في مرتبة ثانية، في وضع ثانوي، تستمد كينونتها من غيرها- بينما يستمد النص كيانه من ذاته. لكن هذا في رأينا لن يستطيع الوقوف في وجه تطورها و استمراريتها ما دامت الحاجة إليها قائمة بصفة حيوية مستديمة. وليس في الأمر مبالغة إذا قلنا أن الترجمة بدورها، دخلت العولمة شأنها شأن الاقتصاد والسياسة والتجارة و الإعلام.وحسبنا في ذلك دليلا التداخل الحضاري الحاصل بين الشعوب والأمم و تعايش الهويات، عبر المحافل الدولية وانتهاءا[27]بالمؤتمرات والندوات والهيئات الدولية التي جمعت

---

1) عبور النص إلى الضفة الأخرى.هارتموت فندريش.مجلة "فكر و فن". معهد غوته.ألمانيا.عدد79.السنة الثالثة والأربعون.2004.ص.30.

[27])الأدب والارتياب،عبد الفتاح كيليطو،دار توبقال للنشر.ط.01.سنة 2007.ص.55.

بين مئات الألسن من مختلف أقطار المعمورة" بلحمة الترجمة، وحققت التواصل فيما بين ثقافاتها، كل ذلك بفضل الترجمة والترجمة فقط، أليست هذه فعلا عولمة تحققت!.

* ***الاستشراق والترجمة الأدبية:***

إن الإستشراق في وجوهره حركة يمكن القول عنها إنها كانت في مطلعها حركة ذات صبغة علمية وأهداف دينية،[28] إذ إن الهزة العميقة التي أحدثتها الانتفاضة العظيمة للعرب كأمة كانت مشتتة متفرقة متناحرة جعلت كل الأمم –خاصة المجاورة المتاخمة لها– تنظر بنوع من الذهول والدهشة لهذه النهضة التي جاءت من عمق الصحراء المترامية الأطراف، وعلى أيدي أناس كانوا إلى أمد قريب جدا–قبل الإسلام– غير معدودين إلا عبيدا ورعايا مطالبين بالسمع والطاعة ودفع الإتاوات لممالك عاتية القوة والنفوذ.[29]هذه النهضة غيرت وجه العالم تغييرا شاملا من كل النواحي، ورسمت معالم جديدة لموازين القوى السياسية والدينية والثقافية، " إذ لم يمض على وفاة الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم – مائة سنة حتى أصبح هؤلاء ..... سادة دولة أعظم مجدا،وأعز شموخا، وأوسع نطاقا من الأمم التي ظهرت قبلهم عبر التاريخ...".[30]

وما كان من الممكن أن تمرّ هذه النهضة مرور الكرام، وهي التي أصبحت مالئة الدنيا وشاغلة الناس من عرب وعجم، وما كان لها أن تدع الأمم الأخرى في غيبوبتها وظلامها الدامس الذي ظل مخيّما عليها منذ قرون خلت ولازال،وكيف لا يكون ذلك وهي تحمل لواءا للحق أساسه العمل الصالح والخلق الحسن والعلم النافع وكل هذا تحت

---

[28])أثر الترجمة الأدبية في حوار الحضارات.حفناوي بعلي، مجلة التواصل.عدد120.جوان 2004م ص 118.

[29]) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ،محمد صالح البنداق،منشورات دار الآفاق الجديدة.بيروت.2.1983.ص.87.

[30])ينظرفلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،أحمد اسمايلوفيتش،دار الفكر العربي (د.ط) سنة 1998م.ص

شعار واحد " إعلاء كلمة الله الذي لا اله إلا هو".[31]هذه العقيدة وهذه المبادئ خلقت نوعا من الترقب والفضول العارم والحيرة المدهشة ظلت مسيطرة على نفوس الأمم الأخرى من خلال علمائها وأدبائها ومفكريها، خاصة الغرب البيزنطي والروماني المسيحي الذي اهتز عرشه الذي كان راسخا رسوخ الجبال في العالم القديم، فبدأت مكانته تتقلص وهيمنته تنتزع منه، وهيبته تذوي أمام ناظره،فكان لابد له من مجابهة هذا الخطر الداهم والخصم غير المتوقع وكان الأمر كذلك، فبدأ الصراع بين الأمة العربية المسلمة الوليدة، والغرب المسيحي- ممثلا في الإمبراطورية البيزنطية- صراعا عسكريا بدأ يشتد يوما بعد يوم وسنة بعد سنة مع رجوح كفة المسلمين وغلبتهم في معظم المشاهد والمعارك التي لم يخفت يوما لهبها منذ الصدام الأول، إلى حروب الثغور، وصولا إلى الحروب الصليبية فما بعدها وما بعدها إلى العصر الحاضر الذي يمثل امتدادا تاريخيا طبيعيا لهذا الصراع اللامنتهي.

وبعد تأكد الغرب المسيحي أن الصراع العسكري لم ولن يفضي إلى النتيجة المرجوة منه والتي ليست غير الحاجة إلى فك طلاسم هذا السر الذي يقف وراء هذه القوة الحضارية والفكرية والإنسانية التي لا نظير لها والتي ميزت الحضارة الإسلامية العربية في أوج قوتها وعنفوانها. نقول، وبعد تأكد المسيحية من عدم نجاعة الحل العسكري، بدأ البحث عن وسائل وأساليب أخرى تضمن التغلغل والوصول إلى عمق الشخصية الحضارية والفكرية والعقدية للدولة المسلمة، مع الحفاظ على عدم انكشاف أوراقها – أي المسيحية- أمام هذا العدو الأزلي. وهنا يبدأ المسار الفعلي للظاهرة الإستشراقية التي

---

[31]) فلسفة الاستشراق و أثرها في الدب العربي المعاصر،احمد سمايلوفيتش.ص16.

ولدت على أيدي الرهبان ورجال الدين[32] المسيحيين الذين وهبوا حياتهم ونفوسهم لخدمة هدفهم الأسمى والمتمثل في التعرف على الحضارة الإسلامية في مختلف نواحيها للوصول في النهاية إلى اكتشاف نقاط قوتها والتمكن من مجابهتها والنيل منها بطريقة تضمن القضاء عليها والحد من توسعها وامتدادها".[33] ولد الإستشراق وبدأ يخطو خطى بطيئة وثابتة وراح أبناء الغرب يتوافدون على العالم الإسلامي من كل حدب وصوب، خاصة نحو الحواضر الكبرى مثل بغداد ودمشق، إلى قرطبة خلال القرن العشر الميلادي، والتي كانت جميعها منارات الدنيا في العلم والحضارة والفكر. فأخذوا ينهلون من علوم العرب والمسلمين في كل مجال ومقام، وخلال ذلك تعايشوا مع المجتمع الإسلامي واتخذوا مكانة لهم في المجتمع مما أعطاهم فرصة ذهبية لدراسته دراسة مستفيضة دقيقة استمرت طوال قرون وقرون. ولابد أن نشير إلى أنه كان سيكون مستحيلا تحقيق هذا المسار المدروس لولا الجو المتسامح والأخوي المشبع بالحرية والعدالة الاجتماعية والفكرية والدينية–و لو نسبيا– الذي ضمن لأبناء الغرب حرية الحركة والتنقل في جو آمن.

و لم تقف حركية الإستشراق هنا، فقد كانت صلة المستشرقين قوية وحيوية جدّا مع أوطانهم والمصادر الممولة لبحوثهم على اختلافها واختلاف دوافعها،إذ بعد المرحلة الأولى المتمثلة في الدرس وأخذ العلم بمختلف صنوفه عن المسلمين، بدأوا يحملون زادهم المعرفي هذا إلى بلدانهم تاركين الركب لدفعات أخرى وأخرى متتالية. ومما لاشك فيه أنه كان لزاما عليهم تعلم اللغة العربية – وهو أهم هدف سعت لتحقيقه الإرساليات الأولى من المستشرقين، وتعليمها لمن سيليهم في مهمتهم المقدسة، فكان ذلك، إذ أنهم تعلموا

---

[32])فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر،احمد اسمايلوفيتش.ص16

[33]) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي.عبد العظيم الديب،"كتاب الأمة"رقم 27.ط.1 ربيع الثاني.1411هـ.

اللغة العربية في موطنها ومنشئها، وتعلموا آدابها وعلومها....[34] ثم انكبوا على المؤلفات التي استطاعوا تحصيلها باستماعهم المباشر للعلماء، أو من خلال حصولهم على المخطوطات والمؤلفات التي كانت تمثل زبدة الفكر الإسلامي في مختلف جوانبه العقدية منها والفلسفية والعلمية التقنية، ومن هنا مروا إلى مرحلة النقل والترجمة، ترجمة هذه المؤلفات إلى اللغات الأوروبية.

بدأت حركة الترجمة والنقل للعلوم العربية،"وكان أول وأهم عمل هائل في مجال الترجمة من العربية خصصوا له الوقت والجهد هو القرآن الكريم... "[35].ومنه نستنتج أن الترجمة كانت ولازالت مصاحبة للظاهرة الإستشراقية، فمن ترجمة القرآن إلى ترجمة المؤلفات الأدبية، والتاريخية والعلمية إلى ترجمة الموسوعات والمدونات الفقهية والفلسفية واللغوية. ومن الأمور التي لابد من الإشارة لها أن حركة الترجمة ارتبطت بحركة التأليف في العالم العربي والإسلامي ارتباطا وثيقا، أي أن الترجمة ازدهرت في عصور القوة الازدهار التي عاشتها الدولة الإسلامية سواء في الشرق أم في المغرب، وخفتت في عصور الانحطاط والتقهقر، على أنها لم تتوقف أبدا وظلت على دأبها المتواصل بأيدي المستشرقين اللذين لم يتركوا مجالا من مجالات الحياة العامة إلا طرقوه وبحثوا فيه،وظل بحثهم المتواصل والدءوب عن المخطوطات والمؤلفات النادرة ملتهبا لا ينطفئ وظمؤهم قائما لا ارتواء له . وبذلك استمرت الترجمة أساسا هاما من أسس عملهم وقاعدة صلبة من قواعد البحث العلمي العملي حتى عصرنا الحاضر.

---

[34]) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم،محمد صالح البنداق.ص89

2 ينظر.المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، د.عبد العظيم محمود الذيب، سلسلة" كتاب الأمة" كتاب رقم 27.ط.1. ربيع الثاني.1411ه .مقدمة الكتاب من الصفحة 7 إلى ص.30.

أما الآن وفي ظل التخلف العلمي القاسي والمرير للمجالات العلمية والتقنية في عالمنا العربي الإسلامي، ونتيجة لتخلفنا الحضاري[36] الفكري عامّة -لأسباب ودوافع كثيرة ومتشعبة – لم يبق لنا إلا الثقافة عموما والأدب خصوصا ليمثلنا ويرسم صورتنا عند غيرنا من الأمم. والأدب كان ولازال في حياة العرب "في طليعة مسيرتهم ونضالهم وعنايتهم"[37] وهو " ديوان علمهم ومنتهى حكمهم..."[38]،ولذا لن يكون غريبا رؤية المؤسسة الإستشراقية توجه اهتمامها لهذا الجانب الحضاري المهم بغية إبقاء عيونها مفتحة على الشخصية العربية الإسلامية في حلها ورحالها، في بداوتها وتحضرها، في تطورها النفسي والعقلي والمعرفي، وكذا في تطور اهتماماتها البسيطة والمعقدة لدى مختلف بنياتها الاجتماعية الحية. لقد كانت ترجمة الأدب العربي في رحلة ما مادّة لإثراء الأدب الأوربي[39] وإعطائه نفسا جديدا مختلفا عما عهده في تاريخه، ثم مرت عملية الترجمة هذه بانتكاسة صاحبت انتكاسة الأدب العربي في مراحله هبوطه وتراجعه، إلى أن جاء العصر الحديث متمثلا في الصحوة والتحديد الذي مسّ، أو لنقل حاول أن يمس كل جوانب الحياة العربية الخاملة آنذاك، والتي -أي الصحوة – صاحبت أيضا حركات التحرر الكبرى التي انتشرت في حينها في العالم العربي وغيره من دول ومناطق العالم الثالث، ومع استقلال أغلب دول العالم العربي وتحررها، بدأ الأدب يواكب -كدأبه دائما- هذه المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تسارعت في الوطن العربي معبرا عنها وعن مختلف جوانبها، دون البعد عن حركية الأدب والفكر في العالم المحيط. وعلى الرغم

---

[36]) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،أحمد سمايلوفيتش. ص425.

[37]) طبقات فحول الشعراء،ابن سلام الجمحي،تحقيق محمود محمد شاكر. دار المعارف. القاهرة 1952.دط،دت.ص24.

[38]) فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر .ص4.

[39]) المرجع نفسه ص509.

من أن هذا الاهتمام كان ولا زال ضعيفا- مقارنة بما يستحقه-،وعلى الرغم من كل المعوقات[40] التي تحول دون تحوله إلى أدب عالمي- حسب العرف السائد-،[41]إلا أن حضوره يعظم، وخطواته لا زالت ثابتة،[42]و الاهتمام به يزداد يوما بعد يوم. وهذا الذي يدعونا اليوم إلى إلقاء الضوء على هذه العلاقة النامية بين المؤسسة الاستشراقية- الفرنسية خصوصا- وأدبنا العربي المعاصر، ومحاولة معرفة كنه هذه العلاقة في عمومياتها وفي خصوصياتها أيضا، وقد يشجعنا على هذا أن نعرف مدى الفائدة التي نرجوها ونطلبها، فائدة نتمناها ذات وجوه عديدة فمنها الاطلاع على أدبنا اطلاعا أشمل وأفيد ومن ثم معرفته معرفة أكثر،خاصة من خلال تنويع زوايا النظر إليه، وقراءته إلي إعادة تشكيله في أذهاننا بشكل ثان، ومنها الولوج إلى عالم آخر ومحيط آخر يتخذ هذا الأدب موضوعا له فيقرأه ويدرسه ويحلله لغايات متنوعة، فنلامس عن قرب معاملة المستشرق المترجم الدارس لهذا الأدب فنتعرف من خلاله – أي المترجم – على بيئته وأفكاره وأهدافه العامة والخاصة من هذه الدراسة وهذه الترجمة.

لقد سار الإستشراق مع الترجمة في خط واحد متواز لمدة طويلة ، وليست هذه المسيرة خاصة فقط بالعالم العربي الإسلامي بل بمختلف الحضارات الشرقية التي كانت ولازالت- ولو بدرجات متفاوتة- تثير فضول الغرب وتستثير اهتمامه، إلا أنّ العالم العربي سيظل يحتل المركز الخاص المتميز في البحوث والدراسات الإستشراقية لعدة اعتبارات ليس أهمها الثقافة فقط على أي حال.

---

[40]) "أثر الترجمة الأدبية في حوار الحضارات" ،حفناوي بعلي. مجلة التواصل،عدد12 جوان 2004.ص. 113

[41]). " فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر ،احمد اسمايلوفيتش.ص510

الفـــصل الأول

الاستشراق : مساره و مراحله و أهم مدارسه

معالجة موضوع أو قضية علمية خاصة بموروث أمتنا كالبحث في قضايا لغتنا العربية وظواهرها المعروفة، كالبحث في قضايا شعرنا أو نثرنا العربي قديمه وحديثه يسيرة نوعا ما، إذ هو ضرب من البحث لنا علاقة مباشرة به، علاقة انتماء و تبعية، فيتجه بنا العمل نحو تفاصيل تميزنا وتمثلنا حضاريا ومعرفيّا، ويأتي اليسر هنا في ضمان نسبة مريحة من الحيادية والالتزام بشروط البحث العلمي المتزن، وهذه النقطة بالذات مبعث الصعوبة في حال معالجة قضية علمية أو فكرية تجمع بين جهود أكثر من أمة، على مابين الأمم والحضارات من اختلافات دينية وفكرية واجتماعية، إضافة إلى النظريات والتصورات التي تؤسس الشخصية كل أمة، دون إغفال التراث واللغة وكل ما إليهما مما يمثل ركائز الهوية وتطورها. ومن خلال بحثنا في موضوع كالإستشراق فذلك بالضبط ما سوف نصادفه، فنحن نتحدث عن تراث شاركت في صنعه أمّة في بحث أمة، بحثا استغرق لغتها ودينها وفكرها ومنجزاتها مثلما أسلفنا الذكر في المدخل ، ولم يكن اكتفاؤها بذلك واردا، حيث بعد البحث جاء التحقيق والتدقيق والتحليل، ومن ثم التعقيب والإضافة وهو أمر عادي إذا ما تقصينا حركية التثاقف بين مختلف الحضارات، لكنه لن يكون عاديا إذا كانت أهدافه هي إنشاء معرفة الغرض منها الهيمنة على وجود تلك الأمة بالهيمنة على فكرها وتاريخها وتوجهاتها وبالأخص علاقتها بماضيها وحاضرها، وبالتالي مستقبلها.[43]

---

1) ينظر الاستشراق:المعرفة، السلطة،الإنشاء،ادوارد سعيد،ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية،الطبعة العربية السادسة، 2003م.ص212.

والأخطر من هذا وذاك هو إصدار أحكام ترسم وتعزز عنها لدى الأمم الأخرى صورة هي ليست حقيقة ولا واقعية ولاموضوعية بالضرورة، وقد تتسبب بموجات من الشد والجذب وتحفر أخاديد كثيرة وخنادق تسعى إلى الفصل والعزل أكثر من غير ذلك. كل هذا وغيره يضع استعدادنا وواجبنا في الالتزام بالموضوعية والحياد المطلوبين أمام موقف صعب، كيف لا ونحن في مواجهة آراء وأفكار هي في الغالب لا تتفق مع آرائنا وتصوراتنا، آراء قد نراها مجحفة في حقنا،مغالية في تشويه صورتنا لدى أنفسنا قبل أن يكون ذلك لدى الآخر، وهذا بالأخص ما يفرض على الباحث المبتدئ في هذا المجال- أي الإستشراق- أن يتحلى بالشجاعة والنظر العميق والصبر، خاصة وهو يصطدم بأفكار أقل ما يقال عنها أنها يرقى إليها الشك، أفكار قد تشكل له صدمة وعي عميق تجاه تراثه وأمته وهويته،وهو ما قد يزعزع قناعات البعض فيجعله يستسلم لهذه التصورات المغالية ويسلم بها دون بحثها أو التعمق فيها، في حين تظهر شجاعة الباحث في تقبل هذه الأفكار أو على الأقل تقبل دوافعها، والعمل على فحصها وتحليلها بغية الوصول إلى نتيجة مرضية لعطشه المعرفي والعقلي أولا، ثم لقلبه ثانيا، ولا يتأتى هذا إلا بالثقة والعمل والمثابرة في ظل منهج علمي متوازن يضمن للباحث ثم للقارئ تحقيق البغية المرجوة من أي عمل فكري، ألا وهي الوصول إلى الحقيقة.

لقد أثارت الظاهرة الإستشراقية ولازالت تثير جدلا حاميا بين المؤيدين والمعارضين،بل يزعم بعض الباحثين أنها " أكثر المسائل إثارة للجدل والنقاش، وسوف تستمر هكذا ولأحقاب لاحقة، حتى يتم فهم هذه الظاهرة فهما علميا، بعيدا عن التعصب والولاء"[44]. و من أهم الأسئلة التي قد تطرح نفسها في بداية هذا البحث هو:

---

[44]) "نقد الخطاب الاستشراقي"،ساسي سالم الحاج،دار المدار الإسلامي،ط1. يناير 2002. ج1 /07.

لماذا هذا الجدل؟ ولماذا ما يزال هذا الجدل محتفظا بكل قوته وحيويته؟ هذا إضافة إلى مسائل أخرى سنحاول التكلم فيها خلال هذا العرض.

إن الإستشراق ظاهرة ولدت ونمت وامتدت منذ القرن العاشر الميلادي إلى يومنا هذا، وظاهرة امتدت كل هذه المدة الزمنية وتميزت بكل تلك الحيوية والقوة في التعاطي والشد والجذب والجدل أحرى بها أن تترك أثرا ماثلا لا يمّحي أبد الدهر. ورغم أنها ظاهرة تحكمت في نشأتها ظروف معينة في مرحلة حساسة من تاريخ العلاقة بين الغرب والشرق، ورغم كل الجدل الدائر والمستمر عن نهاية الإستشراق من عدمها، إلا أنها – أي الظاهرة الإستشراقية- رسمت معالم تاريخ جديد بين الشرق والغرب، مغاير لكل ما سبقه و في كل المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية.

إن الحقيقة ليست واحدة، ونحن من خلال هذا العمل، سواءا كان متواضعا أوغير ذلك – نسعى أن نصل إلى كشف جانب ولو يسير من هذه الحقيقة الواسعة المتكاملة حبا في المعرفة قبل كل شيء. والله المستعان وهو على كل شيء قدير.

مما لا ريب فيه أن التراث الذي خلفه المستشرقون على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم تراث ضخم توسع على مرا العصور والحقب ليشمل جوانب العلوم الدينية والاجتماعية والأدبية إلى غيرها، حيث أنهم طرقوا كل المواضيع التي ألزموا أنفسهم بدراستها وبحثها متفانين في ذلك أشد التفاني، باذلين الجهد والمال والوقت خدمة لأوطانهم وتحقيقا لأهدافهم القريبة والبعيدة، لكننا وبعيدا عن الخوض في هذا الباب الذي سيأتي الحديث فيه لاحقا، ملزمون بطرح الأسئلة التقليدية الملحة في بحث أية ظاهرة علمية، وبما ان موضوع بحثنا هذا هو الإستشراق، فما هو الإستشراق؟ ما تعريفاته؟ كيف وجد ولما كانت الحاجة إليه أساسا؟ هل كان لحظة عابرة في التاريخ أم أنه استمر

كظاهرة علمية؟وإذا كان استمر وتطور، فكيف حدث ذلك وما كانت دوافع وجوده؟ إلى غيرها من الأسئلة التي ستتم الإجابة عنها تباعا إن شاء الله.

1- ***تعريف الاستشراق***: لقد مر المفهوم العلمي لكلمتي " الإستشراق" و"المستشرق" بأدوار مختلفة منذ عام 1683م عندما كان " يطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية"[45].

إن كلمتي " المستشرق" و "الإستشراق" علميّا حديثتا العهد في الإنجليزية والفرنسية[46]، وأول ما ظهر مصطلح " مستشرق" – وهو الأسبق بالنسبة لمصطلح "استشراق- كان في أوروبا، "ليطلق كوصف ثقافي وعلمي حديث على مختصين أوروبيين في ثقافة الشرق ولغاته وتراثه وحضاراته."[47] و أول ظهور له كان في انجلترا قبل غيرها سنة 1779م ثم بعد ذلك بعشرين عاما ظهر المصطلح في فرنسا سنة 1799م ليعم بعد ذلك مختلف الحواضر في الدول الأوروبية".[48] أما كلمة "استشراق" فكان ظهورها متأخرا نسبيا وعرفتها " اللغة الانجليزية قبل غيرها سنة 1811م ثم عرفتها اللغة الفرنسية عام 1830م" [49]، وبعد ذلك بقليل جاء الاعتراف بهما داخل الأكاديمية الفرنسية "المشهورة بالحيطة في إدخال الكلمات الجديدة إلى اللغة الفرنسية فأدخلتهما إلى معجمها الشهير عام 1938م"[50]. ومن المعاجم الغربية الحديثة انتقل المصطلحان إلى المعاجم اللغوية العربية الحديثة والمعاصرة – إذ من المعلوم أن لفظة استشراق التي نبحث

---

[45]) فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش. ص 25

[46]) المرجع نفسه.ص26

[47])الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن ابراهيم،دار المنابع،دط.2004م،ص18

[48])المرجع نفسه، ص18

[49])المرجع نفسه.ص18

[50])فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد اسمايلوفيتش. ص 26

عن مفهومها اللغوي "لم ترد في المعاجم العربية المختلفة"[51]. ونحن هنا نقصد المعاجم العربية التراثية القديمة في معظمها.

أ-***اللغة***: جاء في "لسان العرب": شرق: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا: طلعت. واسم الموضع المشرق، والشرق: المشرق والجمع أشراق.

والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق..وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق".[52]

كذلك تقريبا نجد في القاموس المحيط:" الشرق: الشمس...وإسفارها، وحيث تشرق الشمس..وشرقت الشمس شرقا وشروقا: طلعت. والتشريق: الجمال، وإشراق الوجه، والأخذ في ناحية الشرق."[53] هذا في ما يخص المعاجم العربية القديمة التي خلت من اللفظة المراد البحث عنها – أي الاستشراق- حيث هي غير معروفة آنذاك وأقرب لفظة للمعنى المراد هي كلمة " استعراب" و "مستعرب" والتي تعني دخول غير العرب في لغة العرب وآثارهم وتقاليدهم وتمكنهم منها تمكنا متفاوتا.[54]

أما حين نستقصي المعاجم العربية الحديثة فإننا نجد لفظة "الاستشراق" في جلّها، ففي المنهل نجد تحديدا جميلا للمفاهيم على النمط الآتي: "جاءت لفظتا شرق ومستشرق مقابلتان للفظة الفرنسية " Orient" و" Orientaliste" لوصف أهل الشرق أوالشرقيين. وOriental هو الشرقي والمشرقي. "Orientalisant" لو صف كل متأثر بالشرق. أما الاستشراق فيعبر عنها بلفظة Orientalismeالتي لها أيضا معنى

---

[51]) فاسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد سمايلوفيتش. ص21.

[52]) لسان العرب.ابن منظور الإفريقي المصري،دار صادر.بيروت.المجلد العاشر.ط1.1410هـ/1990م باب حرف القاف .مادة "شرق".

2)القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، دارا حياء التراث العربي/مؤسسة التاريخ العربي،بيروت ط1417،1هـ/1997م،مادة شرق.

[54]) ينظر مادة "عرب" في "لسان العرب" لابن منظور، و "القاموس المحيط"للفيروزاآبادي.

حب الأشياء الشرقية والمستشرق أو العالم باللغات والآداب الشرقية هو "Orientaliste"[55] .

أما في " المنجد في اللغة العربية المعاصرة " فلفظة شرق تعني: شرق: نقطة أو جهة الأفق التي تطلع منها الشمس على مدار السنة. الشرق: البلدان أو المناطق الواقعة في الشرق، جهة طلوع الشمس. وتشرق: صار مستشرقا، تشرق أوروبي. إستشرق: صار مستشرقا.اهتم بالدراسات الشرقية، "إستشراق فرنسي".

- إستشراق: اتجاه الغربيين نحو الاهتمام بتراث الشرق وحضاراته ولغاته. مستشرق والجمع مستشرقون: أديب غربي يهتم بدرس تراث الشرق وحضاراته ولغاته".[56]

و لا تخرج الدلالة اللفظية لكلمتي "مستشرق" و "استشراق" في المعاجم العربية الحديثة عن تلك الموجودة والمتعارف عليها في أمهات المعاجم الغربية، الفرنسية منها خاصة- وهي التي تهمنا في هذا البحث.

1-قاموس le robert :شرق:المنطقة التي تشرق الشمس منها.شرقي:متمركز في الشرق...شخص أصله من الشرق.

مستشرق:استخدم كإسم منذ سنة (1799م)...لتمييز الخبير في اللغات و الحضارات الشرقية.استشراق:علم الأشياء الشرقية (1840)،تذوق الأشياء الشرقية(1846).[57]

2-قاموس le littré:شرق:النقطة من الفضاء حيث تشرق الشمس عند الأفق...شرقي:من جهة الشرق:ينتسب للشرق.استشراق:مجموع المعارف و الأفكار

---

[55])المنهل:قاموس فرنسي-عربي،د.سهيل إدريس. دار الكتاب.دط.2004م.ص 851/850.

[56]) المنجد ي اللغة العربية المعاصرة.دار المشرق.ط2.2003م باب حرف الشين.ص765

[57]) »leRobert » dictionnaire historique de la langue française.Paris Octolire 1992.p.1382/1383

الفلسفية الخاصة بالشعوب الشرقية.مستشرق:المهتم بالمعارف و اللغات الشرقية.عالم استشراقي [58].

3-القاموس الموسوعي auzou:

شرقي:من الشرق،من الشرق كهوية ثقافية أو سياسية.استشراق:الاهتمام بكل ما يأتي من الشرق.مستشرق:شخص مهتم بالاستشراق،أو يدعيه [59].

4-قاموس le petit larousse:

شرقي:ما يوجد في الشرق،في المشرق،شخص ينتمي للحضارة الشرقية...لأحد البلدان الشرقية.استشراق:مجموع العلوم التي تتخذ موضوعا الحضارات الشرقية.تذوق الأشياء الشرقية.مستشرق:الذي له علاقة بالاستشراق،المختص في الحضارات الشرقية [60].

ب-اصطلاحا:

إن الباحث عن تعريف محدد للإستشراق سيجد نفسه أمام سيل من التعريفات التي دبجت حوله والتي لا تنتهي " ومن أجل هذا فإن إعطاء تعريف للإستشراق هو ضرب من المحال، وكل تعريف نجهد أنفسنا لإعطائه لا يكون شاملا جامعا مانعا"[61].ورغم اقتناعنا بهذه الفكرة، إلا أن هذا لا يمنعنا من سوق بعض التعريفات التي قد توضح لنا أكثر ماهية الموضوع، ولزيادة المنفعة لن نكتفي بآراء العلماء والباحثين العرب، حيث نورد بعض التعريفات التي دبجها علماء غربيّون من المستشرقين وغيرهم.

---

[58]) le littre » dictionnaire de la langue française.Hachete.2001..p.1130.

[59]) « Auzou » dictionnaire encyclopédique.2005.p.1181.

[60]) Le petit larousse (grand format).larousse.2005.p.763

[61]) نقد الخطاب الاستشراقي. ساسي سالم الحاج دار المدار الاسلامي.يناير 2002.ط1.ج17/1

يقول رودي بارت: "..الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[62].ويصفه جويدي في معرض حديثه عن فحوى الإستشراق وأهدافه بأنه التعمق.."في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها"،[63]وغير بعيد عن هذا يرى ديتريش أن المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سلمية في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق".[64]

أما في الجانب العربي- أو الشرق- فقد تحددت التعريفات الخاصة بالإستشراق دون أن تبتعد كثيرا عن المعاني السابقة، فهذا أحمد حسن الزيات يرى أن الإستشراق اليوم هو " دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره"[65] وعند اسمايلوفيتش فهو التبحر في لغات الشرق وآدابه.[66]

أما ادوارد سعيد فيرى أن "الإستشراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق (وفي معظم الأحيان) الغرب"[67] وهو- أي الإستشراق- " الدراسة المتقصية المتنوعة المتعددة الأغراض التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف إلى كنوزه الحضارية، وعاداته وتقاليده وحضارته وديانته وكل منحى من مناحي حياته، مهما كان الغرض الدافع إلى هذه الدراسة سواءا كانت لأهداف دينية أو عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو علمية"[68] وهي جلها آراء كما نرى تعبر عن معنى متقارب.

---

[62]) نقلا عن "فلسفة الاستشراق" أحمد سمايلو فيتش. ص23

[63])المرجع نفسه. ص24

[64]) المرجع نفسه. ص 25

[65]) تاريخ الأدب العربي. أحمد حسن الزيات دار المعرفة.ط.4 1418هـ/1997م ص.378

[66])فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش. ص 23

[67])الاستشراق.إدوارد سعيد ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. الطبعة العربية السادسة.ص189.

[68])نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج.ص21/20

لكننا قد نجد بعض التعريفات التي قد تعبر بطريقة فريدة عن أيديولوجية معينة وهو الحال عند ادوارد سعيد في "الإستشراق" حيث نراه يقول: "إن الإستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه المؤسسة المتشركة للتعامل مع الشرق ،التعامل معه بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه، وإقرارها، بوصفه وتدريسه والاستقرار فيه، وحكمه، وبإيجاز الإستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه"[69] ،وهذه الفكرة تكاد تكون لبّ عمل ادوارد سعيد وأساس كتابه الآنف الذكر، وهي فكرة فريدة لا يشاطره الرأي فيها أغلب الباحثين و إن شاطروه فيها فبتحفظ .

وحتى إذا سلمنا أن الإستشراق هو التخصص في فروع المعرفة المتصلة بالشرق وهو المفهوم الأكاديمي المتعارف عليه، فإنه قد انحسر في الوقت الحاضر، فليس كل دارس لإحدى الثقافات الشرقية يمكننا أن نطلق عليه اسم مستشرق.ورغم أنه لا يوجد هناك مفهوم محدد متفق عليه هو الإستشراق ومجالاته والحقول التي يعالجها،إلا أنه يمكننا أن نقول إن الإستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه.

إن الباحث عن فهم أي ظاهرة و عن سبر أغوارها والوصول إلى أسرارها لا بد له من معرفة جادة بتاريخها وظروف وجودها التاريخي، فيحاول إضاءة ما يمكن من الحركية التاريخية للظاهرة ومدى توسعها وانتشارها واستمراريتها إن كان لها ذلك بالطبع، فمن خلال هذا العمل الأولي يهيئ الباحث الأرضية المعرفية التي ستكون أساسا للعمل كله. ومنه فإننا- ونحن نتعرض للإستشراق كموضوع للدراسة- ملزمون بتهيئة

---

[69])الاستشراق:المعرفة،السلطة،الإنشاء.إدوارد سعيد.ص 17.

هذه الأرضية وبسطها شيئا فشيئا أمام المتلقي حتى نضمن الحد الأدنى من الترابط بين أجزاء العمل، وكذلك تمتين الصلة مع ذهن المتلقي.

إن للإستشراق تاريخا معتبرا، ليس بالمعطى الزمني فقط، بل حتى بالنظر إلى ما تحقق منه على أرض الواقع، ومدى عمق التأثيرات التي سايرت وجوده واستمراريته، وصولا إلى الآثار المهمة والخطيرة أحيانا التي كانت نتاجا مباشرا أو غير مباشر له. ونظرا لكل هدا فإن توطئة لجوانب الموضوع من حيث أسس وجوده وملابساته، أسبابه وأهدافه، ووسائله أيضا، وصولا إلى تطوره وأهم مراحله التي مر بها حتى عصرنا الحاضر، تصبح أكثر من ضرورية.

إنه لمن العسير جدا تحديد النشأة التاريخية للإستشراق بسنة معينة، ويأتي العسر من كثرة اختلاف الباحثين في هده النقطة، خاصة فيما تعلق بماهية الإستشراق والمعنى الحقيقي لكلمة "مستشرق"،ولولا هذا لما وجدنا أشخاصا يحملوا نشأة الاستشراق إلى عصور سحيقة مثل أول لقاء بين الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم- ونصارى نجران، أو إلى بعد ذلك بقليل حين إرساله-صلى الله عليه وسلم- سفراء إلى ملوك العالم آنذاك[70]. وإن كنا لا نتفق مع معظم هده الآراء، فإننا يجب أن نعترف أن الهبة التي أحدثها ظهور الإسلام في الجزيرة العربية وسرعة انتشاره وتعاظم قوته ونفوذه في ما كان إلى أمد قريب يمثل منطقة امتداد لحكم الروم أو الفرس، هذه الهبة وهذه الثورة التي سارت بسرعة خارقة لكل مألوف شكلت صدمة عظيمة للعالم الغربي الذي أمسى بعد مدة وجيزة مهددا بدوره من قبلها،إذ كيف يعقل أن شرذمة من القبائل المتناحرة المتفرقة هنا وهناك في صحراء شبه الجزيرة العربية، تتوحد وتأخذ على عاتقها تأسيس دولة

[70])نشأة الاستشراق-د.مازن مطبقاني، موقع مركز المدينة المنورة للأبحاث والدراسات الاستشراقية
WWW.madinacenter.com

سياسية وعسكرية سوف بعد حين تبدأ شيئا فشيئا في الاستيلاء على الجزيرة ومنازعة إمبراطوريات عتيقة وحضارات هي من هي في ذلك الزمن، فلا تمر مائة عام منذ بدء الدعوة الإسلامية حتى أصبحت الدولة الوليدة تمتد من المحيط إلى الخليج، ولها من الأتباع الملاين التي تزداد يوما بعد يوم[71]، فتسلب الديانة المسيحية التي لها من السبق في الوجود أزيد من سبعة قرون من الزمن، تسلبها مناطق نفوذها، بل حتى الآلاف ومئات الآلاف من المخلصين الذين تحولوا إلى الإسلام .وبالنظر إلى فداحة الأمر وعظمته لم يكن بالإمكان لأوروبا الوقوف مكتوفة الأيدي دون ردة فعل تخول لها الوقوف ندا لند أمام هذه الحضارة الوليدة، وإن كان الأمر في مبدئه قد اتسم بالمراقبة والملاحظة، حتى إذا اقترب الخطر المادي ممثلا في حملات المسلمين التي وصلت للجزيرة الخضراء – اسبانيا- فجاهدت وقاتلت حتى تم لها الأمر هناك، إضافة إلى الحملات الأخرى التي مست أطراف أوروبا ونخص بالذكر هنا الغارات والمعارك التي شنها الجند المسلم بقيادة عبد الرحمن الغافقي على المناطق الفرنسية قبل توقفها لبرهة في معركة بواتييه. أو بلاط الشهداء، نقول أنه لما أصبح الخطر ماديا ماثلا أمام الأعين أصبح من غير المكن الوقوف بلا حراك. ضمن هدا المناخ بالذات، بدأت الإرهاصات الأولى للإستشراق لكن هذه الظروف السائدة آنذاك لم تكن الأسباب الوحيدة لظهور الإستشراق إذ لا يمكن إغفال مدى تأثير التعاليم الإسلامية وكذا التطور الذي وصلت إليه المدنية الإسلامية في شتى المجلات خاصة الفكرية منها وصولا إلى العلوم اليدوية والتقنية والرياضية كالفلك والطب والعلوم الأخرى التي جعلت من مدن كبغداد ودمشق وقرطبة حواضر للعلم والثقافة والأنوار في ذلك الزمان عبر المعمورة كلها.

---

[71]) ينظر، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر.احمدا اسمايلوفيتش. ص 15-20.

كل هذا ما كان ليمر دون أن تصل أخباره إلى مختلف الأصقاع خاصة الأوروبية منها والتي كانت متعطشة للعلم والأنوار وبالتالي التحرر من نير ظلام العصور الوسطى. وللتوسع قليلا في الموضوع، نرى أنه من الضروري الكلام عن أهم الدوافع التي أملت وجود الإستشراق واستمراره. بعض الباحثين يراها أهدافا، والبعض الآخر يعرفها على أنها دوافع،وبعيدا عن هذا عن هذا وذاك، نقول أنها الاثنان معا، فاهتمام الغرب بالشرق منذ بدايته حتى الآن لم يفقد شيئا من حماسته وقوته، وهذا لم يأتي من فراغ أبدا ، بل وجهته دوافع ونوازع متعددة سنحاول اختصارها في التالي:

2-دوافع الاستشراق:

أ-الدوافع الدينية:

يتفق كثير من الباحثين، خاصة العرب المسلمين منهم على أن النشأة الأولى للإستشراق كانت في أحضان الكنيسة، والأمر ليس صعبا على التقبل إذا علمنا واقتنعنا أنه وللقيام بمهمة دراسة الدين والثقافة الإسلامية الناشئة أنذاك، كان لابد من نخبة مثقفة تعي مسؤولياتها وطبيعة العمل المنوط بها وبالنظر إلى الأحوال في أوروبا أنذاك فإن "رجال الدين" – ومرجعهم الفاتيكان يومئذ – كانوا يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوروبا ."[72] فلم يكن من الممكن لأحد أن يتسلم زمام هده المهمة مكان رجال الدين، نظرا لمستواهم العلمي من جهة، ومن جهة ثانية نظرا إلى أنهم يتمتعون بميزة الولاء التام للمسيحية وللكنيسة، وهم بذلك محصنون- نوعا ما- ضد جاذبية الإسلام دون أن ننسى قدرة العصبية الدينية التي كانوا مشحونين بها على مقاومة أي إغراء عقدي آخر.

---

[72])المستشرقون،نجيب العقيقي.دار المعارف.ط4.1980.ج104/1.

لقد اهتم المستشرقون الأوائل "بالتشكيل الثقافي للأمة المسلمة"[73] وبمعرفة مختلف جوانب حياتها الفكرية والعقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية،وكشف دقائق الأمور في تكوينها. ونحن إذ نتحدث عن الدافع الديني، نشير أيضا إلى حب الإطلاع وحب معرفة الحقيقة والفضول الذي يتملك الإنسان العاقل ويدفعه دفعا إلى الأمام.

وليس أدل على ذلك من وجود عدد معتبر من هؤلاء الطلبة الأوروبيين الذين مثلوا طلائع المستشرقين قد اعتنق الإسلام عقيدة وفلسفة حياة خاصة وهم يعيشون واقعا يتسم بتسامح لم يكونوا يحلمون به في أوطانهم، أضف إلى ذلك سمو رسالة الدين الإسلامي ورفعة مبادئه، والعدالة التي مثلت روح وأساس الملك الإسلامي في مراحل عزته وعنفوانه. و في الجهة المقابلة نجد أن الكنيسة ولمجابهة هذا الزحف الإسلامي الهائل الذي بات يهدد وجودها في مهدها وقواعدها التاريخية، آثرت أن تعد مجموعة من الدارسين الذين يتقنون اللغة العربية ونهلوا من العلوم العربية خاصة في ميادين الفكر وطرق الجدل والمناظرة التي كانت سوقها نافقة آنذاك، فيتيح لهم ذلك مواجهة الإسلام بالحجج والبراهين والجدل العقلي من جهة، ومن جانب آخر محاولة القيام " بالتبشير المضاد بالمسيحية في البلاد الإسلامية نفسها واستعادة ما يمكن استعادته."[74] دون أن ننسى التحصين الدفاعي الذي لجأت إليه الكنيسة في بلدان أوروبا وأقطارها قصد تشويه صورة الإسلام والنبي – صلى الله عليه وسلم- ونقل معلومات خاطئة جدا أو مقلوبة تماما عن المسلمين حتى لا تخترق الجبهة المسيحية الداخلية، وهو ما دفعهم شيئا فسيئا إلى

---

[73])المرجع السابق.ص 104.

[74])المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق.ص17.

تغذية مشاعر الخوف والرهبة من المسلمين في آن واحد مع مشاعر السخط عليهم والكراهية الشديدة لهم.

و من أهم الوسائل التي اصطنعها الفاتيكان لهذه المهمة نجد:"تعلم العربية- ثم اليونانية واللغات الشرقية- في مدارس اسبانيا وتعليمها في مدارس أديارها وكاتدارئياتها وكراسي جامعاتها..كجامعات: بولونيا (1076م) وتولوز (1217م) ومونبلييه (1220م)...وروما (1248م)وفلورنسا(1303م)."[75]ومنه نرى أن الدافع الديني بكل ما فيه من اندفاع وقوة كان إحدى "الأسباب الرئيسية لاتجاه الغرب المسيحي- للغات الشرقية عامة ولغة الإسلام خاصة.وأخيرا لابد من الإشارة إلى أنه ورغم أن الدوافع الدينية قد حملت في طياتها غايات متعددة، ومختلفة، إلا أن الغالب عليها والمميز فيها هو مواجهة الإسلام ومحاربته ومحاولة تقويض سلطانه ونفوذه وكذا حماية المجتمع المسيحي من خطره.

ب- الدوافع العلمية: وهي من الدوافع بالغة الأهمية، إذ أن الحالة المتردية لأوروبا القرون الوسطى لم تكن لترضي طموح شعوبها وخاصة المتنورين المتفتحين منهم والذين رأوا أنه لا بد من الأخذ بأسباب الحضارة والرقي للخروج من ظلام تلك الفترة. ورأوا أنه " لا سبيل لهم لإرساء نهضتها- أي أوروبا- إلا على أساس من التراث الإنساني الذي تمثلته الثقافة العربية".[76] فقد كان التطور والتقدم الذي حققته المدنية الإسلامية خاصة في أزهى عصورها صاعقا ومثل النموذج الواجب الاحتذاء به، والعالم العربي " يعد كترا حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، ففيه شيدت

---

[75]) فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد سمايلوفيتش. ص49.

[76]) المستشرقون – نجيب العقيقي. ص 104.

حضارات وثقافات، ونشأت لغات وفلسفات، وولدت علوم وفنون.."[77] وعلاوة على هذا وذاك فقد مثلت الحضارة الإسلامية حلقة الوصل التاريخية بين الماضي والمستقبل، حيث كما هو معلوم لم يقم العلماء والمفكرون والفلاسفة المسلمون بإقصاء أي من الثقافات الأخرى السابقة عليهم أو المزامنة لهم، فأخذوا من هذه ومن تلك وترجموا ثم عمدوا إلى الاحتفاظ بما يناسب ثقافتهم ومقوماتهم، فدرسوه وحققوه ثم زادوا عليه وطوروه، أي أنها " -أي الحضارة الإسلامية- قد حفظت تراثا إنسانيا هائلا من الزوال ونمته وطورته بصورة أو بأخرى وما كان لكل هدا الصيت الذي اكتسبته أن يمر مرور الكرام على باقي الأصقاع المتاخمة. وقد أثارت كل هذه القيم والمنجزات " اهتمام علماء الغرب فاهتموا بدراستها واكتشاف أسرارها"،[78] فشدوا الرحال إلى حواضر العلم المعروفة آنذاك في العالم العربي مثل بغداد والشام وبلاد الأندلس التي كانت ولا ريب من أهم محطات استقبالهم، نظرا للقرب الجغرافي وكذا عموم التسامح الذي تمتعت بع هده البيئة عن غيرها، وقد كانت فائدة أوروبا من هذه البعثات عظيمة و" لا تقدر، حيث أصبح أفرادها بعد عودتهم من الأندلس شعلة علمية تضيء غياهب أوطانها... وأخذت تنشر العلوم والفلسفات والآداب والحقائق فدفعت بشعوبها خطوات جبارة لا يمكن التغاضي عنها عند النظر في تطور العلم في العالم".[79] وخلاصة الأمر أن طلب العلم الذي كانت البلاد العربية والإسلامية موئلا له كان أحد أهم دوافع الإستشراق، والحقيقة الخالدة التي يجب تذكرها دائما دون مغالاة ولا مبالغة وإنما إنصافا للحق والتاريخ، هي أن المدنية

---

[77])فلسفة الاستشراق و اثرها في الادب العربي المعاصر.أحمد سمايلوفيتش. ص 51

[78])المرجع نفسه.ص51.

[79])المرجع السابق. ص 52.

الأوروبية الحديثة والعالمية أيضا تدين بكثير الكثير للحضارة الإسلامية، هذا إن لم نقل أن مبعث هده المدنية الأوروبية المتعاظمة كان من أرض الشرق وخاصة ديار الإسلام فيه.

ج- ***الدوافع الاستعمارية***: وهي بلا شك تمثل " النقطة الخطرة في العلاقات بين الشرق والغرب"[80]. لقد كانت العلاقة بينهما دائما وأبدا تتميز بالتصادم والمواجهة، علاقة مستعمر بمستعمر، علاقة غاز بمقاوم لهدا الغزو، علاقة مهيمن يريد بسط قوته أينما حل ونشر عقليته وديانته ومدنيته والمطالبة بالخضوع لها كلها، بصاحب أرض يرفض التخلي عن هويته وتقاليده ومقوماته الشخصية والعقدية ويبذل الغالي والنفيس في سبيل الحفاظ على حريته واستقلاليته، فكيف بالغازي إذا أصبح مغزوّا ومطاردا مهزوما مكسور الكبرياء ومجروح الشخصية أمام الصفعات المتلاحقة التي كانت تكال له على يد الأعراب الذين تحولوا إلى الإسلام فصاروا قوة بعد ضعف، وكونوا دولة فإمبراطورية شاسعة الأطراف بعد ما كانوا قبائل متنافرة. وبعد هذا وذاك وفي بضع مئات سنين تصير لهم حضارة ما مثلها حضارة ومدنية تتنادى بها الأسماع وترنو إليها الأبصار، فكيف لا يكون هنالك إلى جانب الإحساس بالخطر وواجب دفعه، إحساس بالحسد والرغبة في الهيمنة والامتلاك من جديد، وكان المستشرقون الأوائل أكثر من لمسوا روعة الحضارة وغناها وتعاظم خيراتها وخيرات الأصقاع العربية وغير العربية التي كانت تحت الحكم العربي، وهذا ما يحيلنا إلى نقطة مهمة جدا هي أن توسع الدولة الإسلامية كان- كما ذكرنا- على حساب وجود ونفوذ إمبراطوريات ودول كالفرس والرومان البيزنطيين وغيرهم، هذا التوسع حرمهم من كثير من المزايا،

---

[80])المرجع السابق. ص50

من بينها السيطرة على مواقع ظلت ولا زالت إستراتيجية ومهمة في التجارة والاقتصاد، كطرق القوافل والسفن وغيرها. فكان لا بد من استعادتها أو بالأحرى محاولة استعادتها من يد العرب. ومن يضمن معرفة بالعرب تتيح المضي في هدا غير المستشرقين الذين عاشوا آنذاك بين ظهراني العرب في الحواضر الكبرى كما في البوادي فنقلوا " معلوماتهم ومشاهداتهم لسلطات بلدانهم، حتى يتم التحضير السليم والشامل "لخوض معركة فاصلة" ضد الإسلام والمسلمين. وهكذا "سار المستشرقون في ركاب الاستعمار الغربي-سواءا قديما أو حديثا-... فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها، والاستيلاء على خيراتها وثرواتها".[81]

ويتوسع بعض الباحثين في هذه الدوافع، فإضافة إلى اقتناعهم بأن الدوافع السابقة الذكر تمثل الأصل والقوة في حركة الإستشراق، إلا أنهم يضيفون إليها بعض الجوانب الأخرى التي كان لها دور في نشوء الإستشراق وتطوره، سنجملها في التالي باختصار.

د- الدوافع النفسية: حيث أن الغرب الباحث لم تكن لتخمد نفسه أمام العجب الذي عاينه في الحضارة العربية وتقدمها، وهو الأمر الذي وجد فيه منبعا لا ينضب لإرواء عطشه المعرفي وإشباع فضوله وحاجته الاطلاع على سر هذه القوة والعظمة المذهلة أنداك، وخاصة إذا نظرنا إلى "جاذبية الشرق وروعة مآثره من قديم الزمان وما أحدثه الإسلام فيه، فإن الإنسان لا بد أن يلهبه الشوق إليه".[82] فيدفعه – أي المستشرق- كل هذا إلى تحمل الصعاب والصبر على الشدائد في سبيل الوصول إلى هذا المعين المميز.

---

[81]) أهداف الاستشراق د.مازن مطبقاني، موقع مركز المدينة المنورة لدراسات الاستشراق وبحوثه WWW.madinnacenter.com

[82]) فلسفة الاستشراق و اثرها في الأدب العربي المعاصر.أحمد سمايلوفيتش. ص 41

إضافة إلى الظمأ للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم، وأخبارهم وأسرار حياتهم، دون أن نغفل الرغبة الشديدة في العيش الرغيد والتظلل بظلال الحياة الكريمة المترفة أحيانا.

هـ-الدوافع الاقتصادية: إذ نظرا لفداحة الظروف التي كانت أوروبا تعيشها اقتصاديا وقساوة يومياتها إبان حكم الكنيسة و الإقطاع، فإن الفقر كان منتشرا جدا لدى كل طبقات الشعب الكادحة من العمال والفلاحين خاصة في المناطق النائية التي كانت إضافة إلى الفقر في المعيشة، قاسية المناخ، وبيئة ذات أوبئة وأمراض لا سبيل إلى ردها في ظل الجهل المنتشر والعقلية المتخلفة السائدة آنذاك،وهؤلاء المستشرقون الذي سافروا واستقروا ورأوا خيرات العرب، طلبوا لأنفسهم ولأوطانهم كل هذه الثروات عن طريق الغزو والإغارة وقطع الطرق التجارية وكذا تجييش الجيوش لمحاولة دحر هذه القوة الإسلامية ونهب وسلب كل مقدراتها وبالتالي تحقيق الغني والرخاء .وكما أسلفنا فقد كانت الطريقة الوحيدة لتحقيق هذه الأهداف هي التنقل للشرق وتعلم لغاته وعلومه بغية التمكين للسيطرة والتفوق عليه.[83]

وإضافة إلى كل هذه الدوافع الهامة نجد دوافع فكرية إيديولوجية وأخرى تاريخية ذات ارتباط وثيق بحركية الصراع الوجودي القائم منذ فجر الحضارة بين الشرق والغرب، ويمكن التوسع فيها بالرجوع إلى مصادر هذا البحث.[84]

وبالعودة للحديث عن نشأة الإستشراق وولادته يجب أن نشير إلى أنه لم يكن في مراحله الأولى منظما ورسميا ومحددا بدقة، إذ أن ظهوره بدأ بشكل انفرادي وتدريجي من طرف أفراد أوروبيين، رهبانا ومغامرين استهوتهم الدراسات الشرقية وبالأخص أحلام

---

[83]) المرجع السابق.ص41.

[84])المرجع نفسه.ص 45-46.

الشرق الغرائبي (الإكزوتيكي-exotique)، دون أن ننسى دور احتكاك الغرب بدولة العرب بالأندلس،و بالتالي فإن الإستشراق بدأ اجتهادا فرديا مدفوعا بحب الكشف والاستطلاع والمغامرة.فكان يتم دون إشراف مؤسسات ترعاه ودون تنظيم وتأطير وتخطيط حقيقي كما أصبح الحال عليه لاحقا، وهذا ما يصعب حقيقة من التاريخ بدقة له، ولا أحد من الباحثين يجرؤ أن يسمي أول غربي عني بالدراسات الإستشراقية. "إلا أنه من المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الأندلس وتعلموا بها وتخرجوا من مدارسها، وهؤلاء كانوا أول طلائع المستشرقين."[85] غير أننا إذا تحرينا التدقيق فلن نخرج بنتيجة مرضية لفضولنا، إذ أن الباحثين كانوا ولا زالوا يختلفون في التحديد الزمني لبداية الإستشراق، حيث نجد رأيا يطرح القضية من حيث هي التقاء بين الشرق والغرب، -وهي كذلك بالفعل – فيعود بنا إلى زمن الإسكندر الأكبر وزحفه على الشرق وتغلبه على نظرائه الفرس وكيف أنه وبعد أن تمت له الهيمنة على مصر والهلال الخصيب فكر في الاستيلاء على الجزيرة العربية فأرسل بعثات استكشافية إلى تلك المنطقة رصدت جغرافيتها ومسالكها وأجناسها و من ثم سبل الاستيلاء عليها.ودون الخوض في التاريخ نجد أن تلك المدونات قد تكون في نظر البعض ممهدة لأي معرفة بالشرق ستولد فيما بعد،[86] لكننا وبعيدا قليلا عن هذا الرأي، وحينما نتحدث عن الإستشراق بمعناه الحديث نجد آراءا قد لا تتعارض بقدر ما تختلف.وبالعودة إلى هذه الآراء نجد أنها في الغالب الأعم تتفق على أن الحروب الصليبية لم تكن المرحلة الحاسمة في نشأة الإستشراق وأنها في رأي

---

[85])ينظر "فلسفة الاستشراق".أحمد يمايلوفيتش. و "الظاهرة الاستشراقية" ساسي سالم الحاج" "وتاريخ حركة الاستشراق"ليوهان فوك.

[86])الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن ابراهيم.ص29-30.

بعض الباحثين لم تكن إلا نتيجة واحدة لمقدمة واحدة هي الإستشراق".[87] يرى إسحاق الحسيني أنه من العسير بمكان تحديد نشأة الإستشراق بسنة، لكنه يرى أنه من الطبيعي أن يشد الإسلام في ظهوره نظر رجال الدين المسيحي، خاصة بالنظر إلى انتشاره السريع المذهل في الشرق والغرب.[88] هذه الطفرة الإسلامية لم تكن لتمر مرور الكرام، بل على العكس، خاصة إدا علمنا الأثر الذي حققته وتركته لأزمنة متعاقبة، فبحثوا عن السبل الناجعة للحد من انتشاره أولا ثم القضاء عليه لاحقا، ولا يكون ذلك إلا بدراسته ومعرفته قوة وضعفا،فكانت طلائع المستشرقين الأوائل التي شدت الرحال خاصة إلى الأندلس لما كانت تتميز به من تسامح و انفتاح، وهو قريب من رأي أسعد داغر الذي يشدد على أن هذه الطلائع هي نواة الإستشراق، ويحدد تاريخها بالقرن العاشر الميلادي وصولا إلى القرن الثاني عشر.[89] على أن هناك آخرين يرون البداية الحقيقية للإستشراق كمنهج معرفي – في القرارات التي اتخذت في مجمع فبينا الكنسي الذي عقد بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وبالضبط سنة 1312م، والدي تقرر فيه إنشاء عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات كل من أو كسفورد، باريس، بولونيا و أفينيون.[90] وهو رأي فيه الكثير من الصواب إذا تحدثنا عن الجانب البيداغوجي للقضية، والجانب الهيكلي، لكن بشيء من المنطق سنعلم أنه ما كان لهذه الكراسي أن توجد لو لم يوجد أساتذة متخصصون يشغلونها، وهو دليل ملموس على أن الإستشراق ذو جذور بعيدة قد تعود إلى القرن العاشر الميلادي كما ذكرنا قبلا، ولعله

---

[87])الظاهرة الاستشراقية"ساسي سالم الحاج.ص 29-30.

[88])المستشرقون-نجيب العقيقي.ط 4.ج1/ 105-106

[89]) فلسفة الاستشراق و اثرها في الأدب العربي المعاصر.أحمد سمايلوفيتش.ص56.

[90])المرجع نفسه. ص 55.

من المساعد أن نذكر أن أغلب المؤرخين للإستشراق يذكرون اسم البابا "سلفستر الثاني" أو " جربيردي أورلياك" (930-1003م) كأول، أو على الأقل أقدم مستشرق معروف لدينا، وبالتالي يكون عصره هو ومن بدأ معه المشوار، عصر الخطوات الإستشراقية الأولى واقعا.[91]

و الرأي نفسه يذهب إليه برنارد لويس في حديثه عن النشأة الأولى للإستشراق، حيث يركز كثيرا على الاحتكاك التاريخي بين الغرب المسيحي والأندلس وحواضرها وأثر البعثات المتعاقبة من الطلاب المسيحيين الى طليطلة وقرطبة والزاهرة وغرناطة وغيرها من المدن الأندلسية التي لم تخل واحدة منها من علم غزير حمله هؤلاء الطلاب معهم إلى بلدانهم، حاملين فيه أسباب نهضة تجلت فيما بعد ذلك بزمن غير يسير.[92]

ودائما عند علماء الغرب نجد رودي بارت يجزم بأن البداية الفعلية العملية للإستشراق كانت في القرن الثاني عشر الميلادي،وسيؤيد رأيه هذا بحقائق تاريخية مثل ظهور أول ترجمة لاتينية للقرآن سنة 1143م، إضافة إلى ظهور عمل أكاديمي مهم جدّا هو أول قاموس لاتيني عربي وبالتالي فإن بداية الإستشراق لا بد كانت في القرن الثاني عشر.[93]

وخلاصة القول أن أقرب الآراء للمنهجية العلمية الموضوعية والدقة التاريخية هو أن الإرهاصات الأولى للإستشراق كانت متمثلة في أولى البعثات الطلابية التي قصدت حواضر العالم الإسلامي خاصة مركز الخلافة في بغداد، ومدن الأندلس الشهيرة، هذه

---

[91])الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب ابن براهيم ص 30

[92])ينظر "الاستشراق الفرنسي" الطيب بن ابراهيم. و "موسوعة المستشرقين" عبد الرحمن بدوي .و "المستشرقون"لنجيب العقيقي.

[93])فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد سمايلو فيتش. ص 57-58.

البعثات كانت مع أواخر القرن العاشر الميلادي، وهذه الخطوة هي التي مهدت لظهور ثمرات هامة بعد ذلك بقرن ونيف من الزمان مثل ولادة أول قاموس لاتيني عربي إلى الوجود وما زامنه وتلاه من أعمال أخرى خلال نفس الفترة، أي القرن الثاني عشر الميلادي الذي يعتبره أغلب الباحثين الفترة التي تجسد فيها عمل الاستشراق وبالتالي نشأته الفعلية، لكننا ورغم كل هذه التحديدات الزمنية المتفاوتة شيئا ما، لا يمكننا الجزم بمدة معينة محددة وإنما هي فقط مقاربات لأن لكل رأي جانب من الموضوعية التاريخية على الأقل وبالتالي فوجهات النظر ستظل محتفظة بخصوصياتها المعرفية الموفقة كل على حدة بأدلتها وبراهينها.

3-مراحل الإستشراق:

نقصد بهذا المبحث دراسة التطور التاريخي من حيث الآليات والأهداف والذي ميز مسيرة الإستشراق عبر مختلف العصور منذ نشأته، وكذا محاولة فهم وجلاء أهم ما ميز كل مرحلة من خصوصيات شكلت المناطق الحساسة في الصورة، ورغم تنوع الآراء الخاصة بالموضوع بتنوع زوايا الطرح وطرق الدراسة وكذا الأهداف المبنية عليها،إلا أننا حاولنا قدر المستطاع أن نجد التوازن بين هذه الآراء، ونركز على النقاط المشتركة فيما بينها بغية الخروج بتقسيم معتدل يروي الظمأ المعرفي ويحقق المنفعة العلمية المراعية للحقيقة التاريخية، وكما أسلفنا فإن الباحثين اختلفوا في كثير من القضايا الخاصة بالقضية موضوع الدراسة – أي الإستشراق- ومن بينها المراحل التي مر بها في تطوره التاريخي،ورغم أن الاختلاف لم يكن جذريا إلا أنه يعبر عن اختلاف- أو تنوع- الزوايا التي من خلالها يرى كل باحث موضوعه المدروس.

لقد كانت أغلب التقسيمات التي صادفناها أثناء بحثنا تتفق على أن الإستشراق مرّ بثلاث مراحل أساسية، شكلت عموده الفقري، وشكلت صورة وجوده و دوره في الأحداث التاريخية الخطيرة والحاسمة التي عاصرها ولا يزال. و لقد عملنا على أن نحقق الحد الأدنى من التقارب بين كل هذه التقسيمات حتى نضمن – ولو بصفة يسيرة- عدم التنافر والتناقض، وكذا الحفاظ على تركيز القارئ وانتباهه. ويتم تقسيم مراحل الإستشراق حسب الدراسات إلى المراحل التالية:

أ- ***الطور الأول***: ويمكننا أن نطلق على هذا الطور عدة صفات أو أسماء مثل "طور التكوين"[94] أو "مرحلة الولادة" أو خاصة "مرحلة الاستشراق الديني".ولكل عنوان من هذه العناوين مرجعيته التي ستتجلى فيما يأتي من السطور.

لقد انتشرت الديانة المسيحية عن طريق حواريي المسيح الذين تفرقوا شرقا وغربا عملا على نشر تعاليمه وإيصال كلمته التي آمنوا بها واعتنقوها، فكثر أتباعهم " خاصة في الولايات الرومانية الشرقية"[95]، واجتازوا غيرها من المناطق بعيدة الشقة وصولا إلى روما قلب الإمبراطورية الرومانية، ورغم كل ما أصاب المسيحيين في هذا الزمان من " اضطهاد وتنكيل.إلا أنهم أحسنوا الصبر، وبذلوا المهج والأرواح دفاعا عن عقيدتهم."[96]،واستمر هذا الاضطهاد للمسيحيين الأوائل حتى توقف على عهد الإمبراطور قسطنطين لأسباب سياسية أكثر منها عقدية، كان أهمها هو رأب صرح الدولة المتصدع والتي باتت على مشارف الانقسام، المهم أن الطريق أصبحت معبدة أمام المسيحيين الذين أصبحت عقيدتهم هي الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية،

---

[94]) فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد سمايلو فيتش. ص 57.

[95])المرجع نفسه.ص70-71. و"الظاهرة الاستشراقية".ساسي سالم الحاج.ص 33 - 36.

[96])"الظاهرة الاستشراقية".ساسي سالم الحاج.ص 38.

فهكذا انتشرت واستمر توسعها قبل ظهور الإسلام عن طريق الرهبان والتجار الذين وصلوا فعلا إلى الجزيرة العربية فدخلوها داعين مبشرين، ونحن هنا لا نؤرخ للكيفية التي دخلت بها المسيحية هذه الأصقاع ولا الزمن الذي حصل هذا فيه، وإنما الذي يهمنا هو أنه وبفضل ما كان لكثير من المبشرين من مواهب وعلوم، فقد تمكنوا من استمالة العديد من رؤساء القبائل العربية " الذين استقبلوهم وهيأوا لهم الوسائل لنشر دعوتهم... حيث توغلوا إلى مناطق نائية من الجزيرة العربية وعاشوا بين البدو يقاسمونهم شظف عيشهم وقسوته...وشاركوهم في سكنى الخيام"[97] حتى أطلق عليهم " أساقفة الخيام" واستمرت المسيحية منتشرة في الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام الذي كان له معها شأن، ومن هنا كانت بداية العلاقة بين المسيحية والإسلام. ومنذ هذا اللقاء الأول والصراع يزداد ويقوى كل حين، وليس الأمر فقط لأن الإسلام كعقيدة وأسلوب حياة شامل بدأ يستميل قلوب الناس من عرب وغير عرب فقط، ويستولي كل حين على قلوب المزيد من المريدين، وليس فقط لأن دولة الإسلام بدأت تتوسع واستمر توسعها على حساب مناطق كان النفوذ فيها لبيزنطة الممثلة للمسيحية، بل أيضا لأن العرب المسلمين أسسوا حضارة عالمية ذات أهمية بالغة في التاريخ البشري " الذي نقلت إليه تراث الحضارات القديمة، بعد أن استوعبتها وصقلتها، وأدخلت عليها أوجه التغيير والتبديل المطلوبة"[98]. وكما أسلفنا فالصراع صار "صراعا على وجود لا صراعا على حدود". ومنذ الوهلة الأولى والغرب المسيحي مشدوه أمام عظمة النهضة التي خرجت من جزيرة العرب، مذهول أمام

---

[97])الحضارة الانسانية بين الشرق والغرب.سامي اليافي،مطبعة العالم العربي.ط.1.دت.ص48.

[98])الظاهرة الاستشراقية.ساسي سالم الحاج.ص 38-39.

سرعة انتشارها، مرعب من قدرتها على التوسع وكسب القلوب، وأمام هذا السيل الجارف،كان لا بد من وقفة، فكانت هذه الوقفة من رجال الدين المسيحيين من أساقفة ورهبان وغيرهم بغية وقف هذا الزحف، وللوصول إلى هذا الهدف كان لابد من معرفة مدى قوة الإسلام، معرفة نقاط قوته وخاصة نقاط ضعفه، معرفة مبادئه وتعاليمه والعمل عليها لنقده ونقضه، و لم تتسن الفرصة المناسبة لفعل ذلك بالشكل المطلوب إلا إبان ظهور الدولة الأموية في الأندلس والطفرة الحضارية والإنسانية التي تحققت آنذاك، فكان لهذا المعبر التاريخي بين الشرق والغرب دور هام في تهيئة الأجواء لأولى البعثات التي تكلمنا عنها سلفا في مواضع كثيرة. هذه البعثات التي على اختلاف مناطق تواجدها، حملت بين ظهرانيها أشخاصا كان هدفهم البعيد هو دراسة الإسلام لمعرفة كيفية مجابهته، ومن بين أشهر هؤلاء نجد "جربيردي أورلياك-gerbert de aurillac" الفرنسي الذي تدرج في السلك الكهنوتي حتى اعتلى أخيرا سدة البابوية سنة 999م، و لم يكن "دي أورلياك" وحده الذي ابتعث إلى ندلس وحواضرها بل كان هناك كثيرون غيره حملوا على كواهلهم هذه المهمة الشاقة. ومن بين هذا الكثير كان هنالك من درس القرآن وتعاليم الإسلام فقط لينشر ما يستطيع من أفكار مغلوطة عنه لدى مسيحيي الغرب، والتركيز عليها لإظهار المسلمين في صورة بعيدة عن الواقع، صورة تظهرهم كمتوحشين سفاكي دماء وثنيين. ومن أشهر هؤلاء نجد "بطرس المبجل" ** الذي اعتبر أن الإسلام في حقيقته ما هو إلا هرطقة مسيحية" هي آخر الهرطقات وأشدها ضررا، كما اعتقد أن التحدي الإسلامي لم يجد إجابة مسيحية مناسبة حتى أيامه".[99] ومن أجل أعماله-أي

---

[99])المرجع السابق.ص 39.

بطرس المبجل- التي رغم هدفه المعلن منها إلا أنها تبقى ذات قيمة معرفية وتاريخية بالخصوص نجد ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية لأوّل مرة، وذلك سنة 1143م. ولا أدل على صحة هدفه من أقواله حيث يقول : " إذا بدا أن العمل الذي أدعو إليه غير ضروري الآن لأن العدو لن يتأثر بهذا السلاح، أجيب أن بعض الأعمال تتم من أجل ضرورات الدفاع،وهذا هو العمل الذي أقوم به أنا فإذا لم يكن بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم"،[100] وظلت العقلية الغربية المسيحية تفكر بهذا الشكل إلى ما قبل الحروب الصليبية إذ كانت على معرفة ناقصة جدّا بالشرق " وإن لم يكن لها عذر في ذلك" ومع أنها كانت تعايش الأندلس الإسلامية، إلا أن التعصب الديني الشديد لم يدع لها مجالا كافيا للتفكير بطريقة موضوعية ومحايدة هدفها هو الوصول إلى الحقيقة مهما كان لونها أو جنسها، ومهما كان من أمر ومهما قيل، فإننا يجب أن نقر بأن ما حدث إبان هذه المرحلة الأولى أو الطور الأول، كان له عظيم الأثر في رسم العلاقات وخطوطها العريضة بين الشرق المسلم والغرب المسيحي،هذا الأثر الذي ألقى ولا زال يلقي بظلاله إلى يومنا هذا.

ب-الطور الثاني :

لقد كان للجهود التي قام بها المستشرقون الأوائل، المترهبنون منهم خاصة والدعاية التي حملوا لواءها ضد الإسلام كعقيدة وأسلوب حياة وعلى المجتمع والدولة الإسلامية كليهم لكيانين يمثلان الإسلام، نقول كان لهذه الدعاية أثرها في خلق نوع من التوجس

---

[100])المرجع السابق ص.40.

والخيفة أول الأمر، لكنها سرعان ما تحولت إلى حقد وكراهية متأصلين وإلى عداء لامتناه لكل ما يمثل الدولة العربية الإسلامية وكل ما يمت إليها بصلة قريبة كانت أو بعيدة، وخاصة في الأوساط الشعبية والطبقات الكادحة التي كانت تحت رحمة السلطة الكنسية في أغلب أصقاع أوروبا، وقد عمل هؤلاء الدعاة الذين أدركوا مدى قوة الدين الإسلامي، بجد واجتهاد على استثارة العواطف الدينية لدى الشعوب الأوروبية الغارقة في الجهل والجهالة إلى جانب نشر أفكار مغلوطة عن الشعوب العربية آنذاك وعن عاداتها وتقاليدها وتصويرها كأنها جيوش من الغيلان لا غاية من وجودها إلا سفك الدماء وقتل الآخرين والتخريب والدمار اللامبرر .كل هذا إضافة إلى بداية ظهور الأطماع المادية والسياسية لدى حكّام أوروبا تجاه الشرق، نظرا للخيرات والكنوز التي تزخر بها المنطقة وإستراتيجية المكان وأهميته بالنسبة للتجارة وغير ذلك. كل هذا الزخم المستمر عبر قرنين من الزمان، في ظل شد وجذب وصدامات عديدة زاد احتكاك كل طرف فيها بالآخر، كما زادت معرفته به، فكان ذلك مقدمة لحدث مهم جدّا في تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، حدث سيكون له وزن وأثر عظيم على مستقبل كلا الجبهتين المتصارعتين.

و نحن هنا نتحدث عن الحروب التي سماها الغرب " حروب الاسترداد" وسماها العرب المسلمون" الحروب الصليبية". جاءت الحروب الصليبية تعبيرا عن الشعور بالتحدي الذي كانت الحضارة الإسلامية بكل تجلياتها تمثله للغرب وشكلت تلك الحروب نمطا صداميا في العلاقات الأوربية مع العالم الإسلامي يومذاك "بحيث استمرت تستترف أوروبا وديار المسلمين على السواء طوال ثلاثة قرون متوالية بعد بدايتها عام 1097م ونهايتها عام 1291عندما انتصر المماليك في معركة عكا التي كانت النهاية

لتلك الحروب الدموية".[101] وإن كان هذا الجانب هو الطاغي على مكانة وصورة الحروب الصليبية في الذاكرة الشرقية العربية، فإنها ومن جانب آخر مثلت نقطة تحول في مسار الإستشراق الأوروبي،إذ و من خلال التغلغل الذي قامت به القوات المسيحية تمكن المستشرقون ولأول مرّة ربمّا من الاقتراب فعلا من المخزون المعرفي الهائل الذي كانت تزخر به مكتبات الشرق ودكاكينه والاستفادة بطريقة مباشرة منه، خاصة في نقل بعض العلوم التطبيقية كالرياضة، والفلك والطب والتي كانت أوروبا في حاجة ماسة إليها لتطوير وسائل الحماية للبشر، ولكن خاصة للبدء بالخروج من تلك الظلامية التي كانت تسد كل طريق نحو التحضر والتحرر، وبالتالي التأسيس لنموذج حضاري يتخذ علوم العرب أساسا له، فعلى سبيل المثال عندما اضطر المسيحيون للخروج من بلاد العرب عقب معركة عكا وذلك بصفة نهائية آنذاك، رافق ذلك الخروج الاستيلاء على آلاف من الكتب والمخطوطات العربية، ونقلت إلى المكتبات الأوروبية المختلفة".[102] و أغلبها لا يزال في هذه المواطن إلى يومنا هذا، ولقد كان من النتائج الملفتة للنظر لهذه الحروب، أن الحماسة الدينية التي دفعت الصليبيين الأوائل لخوض الحرب كانت قد خبت وخبا معها المنطق العسكري بكامله، فاتجهت القرائح إلى طريقة وحيدة للعودة لهذه الديار، ألا وهي الطريقة السلمية، ومن أشكالها على سبيل المثال عودة البعثات العلمية، ومواسم

---

* فرنسي ولد سنة 930 في أورلاك أو بالقرب منها، انتخب بابا كنيسة روما الكاثوليكية في 2 أبريل 999م،وتوفي في 12مايو 1003م هو البابا رقم 146،أول بابا فرنسي يخلف أول بابا ألماني (موسوعة المستشرقين عبد الرحمن بدوي ص 178).. Gerbert de Aurillac=Silvestre II

** راهب فرنسي. ولد حوالي 1092م.في أو قرن (Awwergne) وسط فرنسا. سنة 1120م صار رئيسا لدير كلوني الشهير. توفي سنة 1156م. (موسوعة المستشرقون،عبد الرحمن بدوي.ص 110)

[101]) "نقد الخطاب الاستشراقي".ساسي سالم الحاج. ص 44.

[102]) الظاهرة الاستشراقية.ساسي سالم الحاج. ص44.

الحج إلى القدس إضافة إلى الرحلات التجارية، وبالتالي التقت أهداف الرهبان والتجار على اختلافها في المطالبة والسعي للعودة للشرق.

هكذا استمر سعي الأوروبيين نحو المخطوطات العربية، فجلبوا منها الكثير كما أسلفنا، وكانت أيضا هدفا مقصودا لبعض غارات الصليبيين على قوافل العرب، ومن الشواهد على ذلك ما أورده الفارس العربي أسامة بن منقذ في كتابه الشهير (سيرته الذاتية) "الاعتبار" إذ يقول:" فهوّن عليّ سلامة أولادي وأولاد أخي، وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال، إلا ما ذهب لي من الكتب، فإنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت."[103] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سوق الكتب العربية كانت سوقا ذات رواج. وأنها- أي الكتب- كانت سلعة مطلوبة وغالية في نفس الآن.

وقد كانت الحروب الصليبية آنذاك منفذا جديدا نحو معقل هذه المخطوطات في الشرق، ولكن لم يكن ذلك فقط أثناء هذه الحروب، بل استمر على مدار القرون التالية[104].

هذه الأسباب والغايات مجتمعة أدت إلى زيادة الاهتمام بالشرق، والانكباب على تراثه الذي انتقل إلى أوروبا عن طريق المعابر الجغرافية المعروفة.[105] أيضا لا يفوتنا ذكر سبب آخر مهم دفع المسيحيين إلى تعلم اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى، ألا وهو الرغبة في التبشير، خاصة في ظل العجز الذي أظهره الرهبان والمبشرون، وذلك لأسباب

---

[103])"الف عام من الصدام والتفاعل بين العرب وأوروبا" سامي ذبيان.مجلة ألف العدد الأول سنة 2003.ص38.

[104])"الظاهرة الاستشراقية".ساسي سالم الحاج.ص 50/49.

[105])"الاعتبار" لأسامة بن منقذ.تحقيق فيليب حتى ص25.نقلا عن "الاستشراق الفرنسي والأدب العربي د.أحمد درويش. دار غريب.القاهرة دط.سنة 2004 ص 21.

أهمها جهل المبشرين بلغات الشعوب التي يراد التبشير فيها، والجهل بعقائد من يراد تبشيرهم و "عدم التمكن من الحجج والبراهين الفلسفية والعلمية التي تتخذ كأساس لدعوة غير المسيحيين."[106] فكان الاندفاع إذا لتعلم اللغة العربية خاصة، ولغات الشرق عامة مبررا ومطلوبا، وكذا التزود من معين العلوم العقلية كالفلسفة وعلم الكلام وما شابه. ومنذ ذلك العهد بدأت المعاهد والجامعات التي عملت على نشر العلوم العربية واللغات الشرقية في الانتشار، "وكانت أول مدرسة أنشئت للدراسات الشرقية هي مدرسة طليطلة التي أنشأها مجلس المبشرين عام 1250م، وكانت تدرس بها اللغتان العربية والعبرية..."[107] ، كما نذكر منشور البابا " أنوسنت الرابع" الذي صدر في "22 يونيه 1248م إلى مدير جامعة باريس بإنشاء كرسي للدراسات العربية والإسلامية بها."[108]

ومما سبق جميعا نرى بوضوح أثر الحروب الصليبية في تقدم الإستشراق خطوات عملاقة، خاصة بعد قرارات مؤتمر فيينا الكنسي، وظهور الطباعة في عهد متأخر نسبيا عن ذلك، كل هذا يبين لنا فعلا أن هذا الطور كان فعلا طور الانطلاق والتقدم الحثيث للإستشراق وإن ارتبط في معظم فتراته بالتبشير والعمل الكنسي.

ج- *الطور الثالث:*

خلال القرون التي تلت الحروب الصليبية وبعدها وبعد الجهود المضنية التي قام بها أوائل المستشرقين من رهبان ورحالة رجال دولة والتي آتت أكلها في إدراك أوروبا لحجم التطور الحضاري الذي كانت تستقبل أمواجه متعاقبة.وبعد زمن من إنشاء الجامعات

---

[106])هذه المعابر هي القسنطينية، الأندلس وصقلية.

[107]) "الظاهرة الاستشراقية" ساسي سالم الحاج. ص 50.

[108])المرجع نفسه. ص 51.

والمعاهد والدور التي قامت به في نشر ثقافة العرب وعلومهم هذا إضافة إلى تخريج دفعات من الطلاب الذي عملوا بدورهم على نشر تلك العلوم عدا عن السير على درب الأوائل من شيوخهم والتمثل بهم ومواصلة الرحلة في البحث والدراسة والتنقيب عن النفائس الشرقية، كل هذا ضمن للغة العربية انتشارا واسعا في الأوساط العلمية وبين النخبة المثقفة وصانعي القرار أيضا بوصفها لغة عالمية ولغة الحضارة والتقدم، ومن ثم فإن تعلمها وآدابها أخذ بأحد أهم أسباب النهضة المرجوة في أوروبا بأسرها.ومن المشاهد الشاهدة على ذلك ظهور "أول آجرومية عربية طبعت في أوروبا وهي التي أصدرها بطرس دي القلعة(pedro de alcala) في غرناطة سنة 1505م...أما أول كتاب صدر في أوروبا بالأحرف العربية فقد كان كتاب صلاة الصاوي الذي طبع عام 1514م في البندقية."[109]

ولا يجب أن ننسى حدثا هاما جدّا وخطيرا في آن واحد، ذلك هو سقوط غرناطة الأندلس سنة 1492م. إن الاستيلاء المتوالي على دويلات الطوائف هناك أتاح للغالب الاسباني الحصول على ارث من الكتب والمخطوطات التي لم يكن يحلم حتى بالنظر إليها، وذلك ماساهم في فتح آفاق على المستشرقين غير متوقعة، فاستولوا على هذا التراث وجمعوه في مكتباتهم، وعكف عليه المستشرقون بحثا وتحليلا، ولم يتركوا جانبا من جوانبه إلا تناولوه بالدرس والتحليل والتحقيق،فتكونت لديهم معارف واسعة عن الشرق من حيث شعوبه وعاداته واقتصادياته وطرق تجارته، ومواطن القوة والضعف فيه، فنشأت دراسات تحليلية عن هذه الأصقاع أعطت صورة أوضح لما هي عليه، " وإن

---

[109])المرجع السابق. ص 51

كانت أوروبا لا تزال تعاني من إيديولوجيتها التعسفية".[110] إلا أن ذلك لا يقلل أبدا من اعترافها الضمني بجدارة الحضارة العربية، وليس أدل على ذلك من زيادة الاحتياج إليها بوتيرة متصاعدة آنذاك وإن اختلفت الدوافع والأهداف.

ورغم سقوط الأندلس وحجم الثروة المعرفية التي باتت تحت أيدي المستشرقين وغيرهم من الهيئات كالمعاهد والجامعات والمكتبات الكبرى في أوروبا إلا أن النهم إلى زيادة المعرفة بالشرق وأحواله لم يتوقف أبدا خاصة بعد سقوط " القسطنطينية وبروز الدولة العثمانية كقوة كبرى على الساحة، هذه الدولة التي تمركزت ككيان مدافع عن الإسلام والمسلمين، مما دفع الغرب إلى محاربة الأتراك أولا، ومنعهم من التوسع في أوروبا ثانيا، وهو ما تم لهم فعلا عند قهرهم جيوش العثمانيين عند أسوار فيينا.

ومن الأمور المستجدة نوعا ما في هذه المرحلة اتجاه جهود الإستشراق إلى الشرق عامة بعد أن كان أغلب اهتمامهم منصبا على العالم العربي الإسلامي فمن جهة نجد " الاستكشافات الجغرافية الأوروبية، وأثرها في تحويل طرق التجارة العالمية إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، والرحلة العظيمة التي قام بها ماركو بولو إلى الصين، وما كشفته عن ثروات تلك الشعوب وحضارتها المتطورة".[111] كل هذه الانجازات ساهمت في تذليل الفوارق الجغرافية وفتح العالم على صفحة جديدة مقبلة متمثلة أساسا في نمو أطماع الدول الأوروبية خاصة في العوالم الجديدة المكتشفة، من "العالم الجديد"[112] ، إلى

---

[110])"فلسفة الاستشراق و اثرها في الأدب العربي المعاصر.أحمد سمايلوفيتش. ص 77.

[111]) "الظاهرة الاستشراقية،ساسي سالم الحاج.ص 57.

) "العالم الجديد" لفظة أطلقت على أمريكا الشمالية لدى اكتشافها أواخر القرن الخامس عشر على يد كريستوف كولومبوس [112]سنة 1492م.

اكتشاف الصين وعوالمها السحرية، إلى الوقوف على روعة الهند ومدى أهمية موقعها الجغرافي سياسيا واقتصاديا.[113]

طمع الغرب إذا في الاستيلاء على هذه الأصقاع والهيمنة على مقدراتها المختلفة، وهذه المشاريع وغيرها لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتم دون أن تسبقها دراسات مفصلة لإعطاء فكرة واضحة لا غموض فيها، وقائمة على أساس منهج علمي دقيق من البحث والتحليل توطئة في الأخير الاستعمار هذه الأصقاع.

وليس هناك من يستطيع القيام بمهمة إعداد هذه التقارير بجدارة و عزيمة أكثر من المستشرقين والمبشرين أيضا، فسخرت لهم حكوماتهم المال الوفير والحماية اللازمة لانجاز رحلاتهم إلى شتى أصقاع الشرق وإتمام مهماتهم، وقد قام المستشرقون والمبشرون بدورهم على أكمل وجه تجاه حكوماتهم، فقدموا إليها ما تحتاج إليه من تراث الشرق لفهم عقليته وأمزجته وتفاصيل كينونته،ومما ساعدهم على ذلك اختلاطهم بأهل تلك الشعوب تجارا ورحالة ومبشرين وطلابا وقناصل.

مما سبق نستطيع أن نطلق على هذه المرحلة من تاريخ الإستشراق ّمرحلة التجسيد" أو " مرحلة الإثمار" أين بدأت بالفعل تظهر ثمار عمل المستشرقين وجهودهم التي استمرت طيلة قرون عديدة متتابعة ميزها الجد والنشاط والتفاني في طلب العلم والبحث والدراسة والتحليل، وقد كان العمل اللاحق لهذه القرون وكذا الاكتشافات العديدة سواءا الجغرافية منها أو العلمية (كظهور الطباعة وما صاحبها من ثورة في تاريخ البشر

---

[113]) ينظر "دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في القرون الوسطى".جوزيف نسيم يوسف. مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع. دط.1988م.

كافة) تجسيد رائعا لروح الإستشراق، إضافة إلى أهم ما ميز جهود المستشرقين في هذا العصر، ألا وهو التمهيد لظهور الاستعمار الغربي في القرون اللاحقة.

والآن وبعد هذه اللمحة الموجزة عن مراحل الإستشراق وأهم ما ميز كل مرحلة بذاتها، نمر إلى الحديث عن أهم المدارس الإستشراقية الغربية مع إلقاء الضوء على بعض أهم رجالاتها.

4-مدارس الإستشراق:

أ -المدرسة الايطالية: إن البدء بالمدرسة الإيطالية ليس إلا ايفاءا للمنطق والتاريخ، فإيطاليا كانت "أعرق أمم الغرب التي اتصلت بالشرق الأدنى اتصالا وثيقا منوعا، ونالت الثقافة العربية واللغات الشرقية من الترجمة والحفظ والتعليم والنشر بفضل الفاتيكان حظا موفورا..."[114].

وبالتالي فليس من المبالغة القول أن ايطاليا مهد الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ومن المعروف جدّا دور الفاتيكان والباباوات المسيحيين في التأسيس للدراسات الإستشراقية وفيما يأتي بعض أهم أعلام الإستشراق الايطالي:

1-إغناطيوس جويدي (1844م-1935م) Guidi Jgnazio[115]: مولود في روما، تعلم العربية فيها ثم صار أستاذا لها في جامعتها منذ سنة 1885م، انتدبته الجامعة المصرية أستاذا للأدب العربي تاريخيا وجغرافيا سنة 1908م،يعد بحق شيخ المستشرقين في اللغات السامية، خاصة السريانية والحبشية. آثاره كثيرة تنوعت بين كتب ومحاضرات ومقالات نقدية، من أهمها نجد: نماذج من الكتابة الكوفية

---

[114]- المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ص 405.

[115]- تاريخ حركة الاستشراق ، يوهان فوك ، دار المدار الإسلامي ، ترجمة عمر لطفي العالم ، ط02 ، 2001 ، ص 150.

(1888م)، كتاب الأفعال وتصريفها لابن القوطية (1894م) ودراسة نص كليلة ودمنة (1873م).

2-الأمير ليوني كايتاني (1069م-1926م) Leone Caetani[116] : ولد في رومة ودرس وتخرج من جامعاتها، تعلم وأتقن سبع لغات كبرى منها العربية والفارسية. كان ثريا وقد سمح له ثراؤه بإشباع رغباته المعرفية حيث كان عاشقا للثقافة الشرقية عامة والعربية على وجه الخصوص تنقل بين عده عواصم عربية مثل بيروت ودمشق والقاهرة وكذا دلهي عاصمة الهند، و "جمع مكتبة شرقية زاخرة بالمخطوطات النفيسة"، من أهم مؤلفاته: حوليات الإسلام (رومة 1912-13-14-18-18-26)، انتشار الإسلام وتطور الحضارة (بولونيا 1912م) والتاريخ الشرقي: سيرة الرسول (ميلانو 1914م).

3- كارلو نالينو (1872م-1938م)[117] Carlo Affonso Nallino :من مواليد مدينة تورينو، درس وتعلم اللغة العربية في جامعتها، صار أستاذا للعربية في المعهد العلمي الشرقي في نابولي(1894-1902)ثم استاذا في جامعة بالرمو و روما بعد ذلك حيث أنشئ له خصيصا كرسي للتاريخ والدراسات الإسلامية (1915م). منذ سنة 1909م وهو يحاضر باستمرار في مصر.

من أهم آثاره: تكوين القبائل العربية في الإسلام (1893م)،فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية لمجمع العلوم في تورينو (1901م) شعر ابن الفارض والتصوف الإسلامي (1919م-20) وغيرها الكثير .

---

[116]- المرجع السابق ، ص 152.

[117]- موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي ، ص 150.

ب- المدرسة الانجليزية[118]:

أنشئت أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية بين عامي1632م و 1636م في جامعتي كمبريدج وأكسفورد على التوالي.في البداية كان الطابع الفردي هو الغالب على الدراسات العربية الإسلامية في بريطانيا، إلا أنه ومع مرور الوقت بدأت المراكز والجمعيات الاستشراقية بالظهور والتطور بدءا بالمراكز التي أنشأتها شركة الهند الشرقية لتكوين موظفين ومترجمين في سبيل استكمال احتلال الهند كافة،إلى غاية سنة 1916م، سنة نشأة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية والتي استمرت وتطورت حتى أصبحت رائدة الاستشراق البريطاني عامة في العصر الحديث ومنارة له، ونجد من أهم من مثل الاستشراق في انجلترا:

1-ديفيد صموئيل مرجليوث (1858م-1940م) David Samuel Margoliouth[119]: من المستشرقين الانجليز المشهورين بعلاقتهم بالأدب والتاريخ العربي الإسلامي ومن الطريف أن نعرف أن بداياته العلمية كانت مع دراسة اليونانية واللاتينية، وأن اهتمامه باللغة العربية كان بعد ذلك بزمن حيث تعلم العربية ودرس تاريخ العرب والمسلمين وآدابهم، وقد اقترن اسمه بنظرية النحل التي نقلها الراحل طه حسين في كتابة " في الشعر الجاهلي" والتي يشكك فيها في صحة وتاريخية الشعر العربي ويدعي فيها أن أغلبه إن لم نقل كله موضوع. من مؤلفاته: نشر كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (1915م)، ورسائل أبي العلاء المعري (1919م) عدا عن كم معتبر من المقالات والتآليف المتنوعة.

---

[118]- تاريخ حركة الاستشراق ، يوهان فوك ، ص 83.

[119]- شخصيات من الشرق و الغرب ، نجم الدين غالب الكيب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1969 ، ص 112.

2-*آرثرجون آربري* (1905م-1969م)[120] Arthur John Arberry :

من مواليد مدينة بورتسموث جنوب بريطانيا، عكف بعد التحاقه بجامعة كمبريدج على دراسة اللاتينية واليونانية، ثم سرعان ما زاد على ذلك دراسة اللغة العربية بتوجيه من أحد أساتذته، ورحل لأجل ذلك إلى مصر لاستكمال معرفته باللغة العربية وآدابها، وهناك عمل في كلية الآداب بجامعة القاهرة رئيسا لقسم الدراسات القديمة. أصدر خلال حياته أعمالا متنوعة بين اللاهوتي والتاريخي والأدبي وغيره، ومنه نجد: "ترجمة معاني القرآن الكريم" وهو من أهم آثاره، أن لم يكن الأهم فعلا والتي صدرت سنة 1955م، ترجمة مسرحية "مجنون ليلي" لأحمد شوقي.

3- *برنارد لويس* (1916م..) Bernard Lewis[121]:إلتحق بجامعة لندن ودرس بها التاريخ، ثم كان انتقاله إلى فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة 1937م حيث كان المستشرق الفرنسي الشهير لويس ماسينيون من بين أساتذته هناك، حصل على الدكتوراه سنة 1939م في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، أصبح أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي عام 1949م في المدرسة السالفة الذكر، ثم رئيسا لقسم التاريخ سنة 1957م.

يعد برناردلويس من أغزر المستشرقين الانجليز إنتاجا خاصة في كل ماله علاقة بالتاريخ العربي الإسلامي، كما اتجه في السنوات الأخيرة إلى الكتابة عن المجتمع الإسلامي المعاصر وظواهره.

---

[120]- تاريخ حركة الاستشراق ، يوهان فوك ، ص 86.

[121]- المرجع نفسه، ص 90.

ج-***المدرسة الروسية***[122]: لها علاقة وثيقة بالعالم العربي الإسلامي منذ العصر العباسي وتبادل السفارات بين الخلافة والإمبراطورية، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن روسيا أو الاتحاد السوفياتي وبحكم ضمه لعدة جمهوريات مسلمة تحت مظلته فقد كانت علاقتها بثقافة وعادات هذه الجمهوريات قائمة على نوع من الاحتكاك والمعرفة التي تتيح لها التعامل معها بما يناسبها دون غيرها وفي الجانب الأكاديمي فلا تكاد تخلو جامعة روسية اليوم من كراس للغة العربية والتاريخ الإسلامي، ومن أهمها جامعة موسكو المركزية، جامعة قازان التاريخية، وجامعة بطرسبرغ، وبالطبع فإن هذه المراكز الإستشراقية قد ساهمت في تخريج عده لا بأس به من المستشرقين اللامعين الذين حملوا لواء الإستشراق الروسي، ومن أهمهم:

1- ***إغناطيوس كراتشكوفسكي*** (1883م-1951) Jgnarj Krackovskiy[123]: رائد الإستشراق الروسي المعاصر وحامل لوائه، فلا يذكر أحدهما دون الآخر أبدا. درس اللغات اليونانية واللاتينية، ثم اعتمد على نفسه في درس العربية، ثم التحق سنة 1901م بكلية اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرغ ودرس فيها اللغات التركية والفارسية والعبرية...اهتم بالشعر العربي في العصرين الأموي والعباسي.

2- *ليونيد ايفانوف* (1886م-1970م) [124] l-Ivanov: اهتم بدراسة الفرقة الشيعية الإسماعيلية في مصر.

---

[122]- المرجع السابق ، ص 130.

[123]- موسوعة المستشرقين ، عبد الرحمن بدوي ، ص

[124]-المرجع نفسه ، ص .

3-ف.ف بارتولد (1869م-1930م) [125] V.V Barthold: درس التاريخ الإسلامي في جامعة سان بطرسبرغ ثم عمل فيها أستاذا للشرق الإسلامي وتاريخه. اهتم بدراسة المصادر الكبرى للتاريخ الإسلامي، كما اهتم بدراسة مؤلفات ابن خلدون خاصة نظريته في الحكم. أنتخب عضوا في مجمع العلوم الروسي، ورئيسا للجنة المستشرقين.

د- *المدرسة الأمريكية*[126]:

مقارنة بالمدارس الإستشراقية الأوروبية خاصة، فإن الإستشراق الأمريكي جاء متأخرا وذلك الأسباب عديدة منها التاريخية (تأخر ظهور الولايات الأمريكية المتحدة إلى الوجود) وقلة نفوذها مقارنة بفرنسا أو انجلترا في الوطن العربي مع بدايات القرن التاسع عشر والعشرين) ومنها العلمية والتقنية (عدم ظهور المراكز الإستشراقية وتعزيزها بالمستشرقين الأكفاء إلا أخيرا). إلا أن ذلك لم يدم طويلا،و بمساعدة من بريطانيا وبشراكة معها بدأت الجامعات الأمريكية تكون مكتباتها الخاصة من المخطوطات العربية النفيسة. ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية انتدبت الجامعات الأمريكية عدد كبيرا من أعلام المستشرقين، الإنجليز منهم خاصة وافتتحت مراكز عديدة بمعية هؤلاء مثل مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد الذي أسسه الانجليزي النابه السير هاملتون جب.

ويحسب للمدرسة الأمريكية أنها خطت بالإستشراق خطوات جديدة جعلته يتجه أكثر نحو الاختصاص والتخصص أكثر فأكثر فأصبحت الدراسات أكثر دقة في

---

[125]- المرجع السابق، ص .

[126]- تاريخ حركة الاستشراق ، يوهان فوك ، ص 223.

منطقة معينة وفي فرع من فروع المعرفة دون غيره.من أهم من مثل المدرسة الأمريكية في الإستشراق نجد:

1-جورج سارتون(1884م-1956م)George Sarton[127] : بلجيكي الأصل، كان اختصاصه العلوم الطبيعية والرياضية، درس العربية في بيروت في الجامعة الأمريكية هناك، ألقى محاضرات كثيرة حول أحداث التاريخ الإسلامي وفضل العرب على الفكر الإنساني،من أهم إنتاجاته والتي ركز فيها على دور العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية كتابه المهم " المدخل إلى تاريخ العلم".

2- دنكن بلاك ماكدونالد (1863م-1943م)[128]: من أصل انجليزي، بدأ حياته العلمية في اسكتلندا، وبعد انتقاله الأول، إلى برلين أين تتلمذ على بعض المستشرقين الألمان وأخذه عنهم، توجه إلى أمريكا عام 1893م من أجل تعليم اللغات السامية. تنوع إنتاجه بين الدراسات الشرعية والدراسات اللغوية من أهم أعماله تأسيسه " مجلة العالم الإسلامي" مع جمع من المستشرقين والمتخصصين الأمريكيين سنة 1911م.

3-غوستاف فون غروبناوم (1909م-1972م) [129] Gustav Von Gunhaum: نمساوي المولد. درس في جامعة فيينا، ثم جامعة برلين، هاجر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة نيويورك سنة 1938م، ثم ارتحل إلى جامعة شيكاغو، ليستقر به المقام في جامعة كاليفورنيا حيث جد واجتهد وكان له الفضل الأكبر في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط بها، من المهتمين بدراسة الأدب العربي ومن أهم كتبه المعروفة: "الإسلام في العصر الوسيط".

---

[127]- المرجع السابق .ص 228.

[128]- المرجع نفسه، ص 231.

[129]- المرجع نفسه، ص 233.

هذا و فضلا عن هذه المدارس التي سقناها أمثلة و نماذج،فإن هناك مدارس أخرى متميزة مثل المدرسة الهولندية،و المدرسة الألمانية و المدرسة اليوغسلافية،و لكل منها رجالاتها الذين لهم مكانتهم في تاريخ الإستشراق.

الفصل الثاني :

–المدرسة الاستشراقية الفرنسية–

كانت العلاقات الثقافية بين فرنسا و الشرق العربي الإسلامي عامة، و الشرق الأدنى خاصة علاقات حيوية نشيطة، فرغم اختلاف درجاتها بين التنافس و التعاطف، والانجذاب و التنافر، و كذا محاكاة النموذج الآخر أو البحث عن نقيضه إلا أنها – أي العلاقة- لم تجنح أبدا إلى التغافل أو التجاهل، و ذلك منذ اللقاء التاريخي الأول بينهما متحاربين إثر غزو جيوش المسلمين جنوب فرنسا و احتلال ما شاء الله لها أن تحتل من مدن و قلاع، و بالرغم من خسارة المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي لمعركة " بواتييه" (بلاط الشهداء) سنة 732م[130] إلا أن الاحتكاك ظل مستمرا سواء عسكريا- و إن اقتصر على الجنوب الفرنسي – أو دينيا أو ثقافيا.

أ-تاريخ العلاقات الثقافية بين فرنسا و العالم العربي:

لقد كان لهذا الصدام أثر قوي في وعي كل طرف بالآخر، خاصة وعي الغرب – ممثلا في فرنسا- تجاه الوجود العربي الإسلامي. " بل إن نشأة ما عرف فيما بعد بالأدب الفرنسي، ربما كانت مدينة لهذا الصدام ذاته، فبعد أقل من خمسين عاما على موقعه بلاط الشهداء،حدثت موقعة " رونسيفو" سنة 778م بين المسلمين والفرنسيين....الذين كان يقودهم رولاند ابن أخ الإمبراطور شارلمان، و أصبح رولاند بطلا لملحمة شعرية.....أصبحت النواة الأولى لاستقلال الأدب الفرنسي عن اللاتينية".[131] هكذا وجدت فرنسا نفسها في مواجهة الزحف الإسلامي العربي باعتبارها بوابة لباقي أوروبا، و كان لتصديها لهذا الزحف الداهم أثر قوي ليس في

130_ الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر.الطيب بن براهيم، دار المنابع، دط. سنة 2004، ص 55.

131_ الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي، أحمد درويش، دار غريب، دط، سنة 2004.ص 19/18.

فرنسا وحدها بل في كل أوروبا، حيث أصبح شارل مارتل بطلا و أصبحت فرنسا حامية للمسيحية كلها و رمزا للتضحية في سبيل الكنيسة. و بما أن الوجود العربي الإسلامي قد فرض نفسه على الجميع، فقد كان لزاما-كما أسلفنا في الفصل السابق- أن يحدث تقارب من نوع ما بين فرنسا و الغرب من جهة و المشرق الإسلامي من جهة ثانية، و سنجد أن استقرار المسلمين الفاتحين في المدن و القلاع الفرنسية الكثيرة -أغلبها في الجنوب- واحتكاكهم بأهلها جعل هذا التقارب أكثر إمكانية و أكثر أمانا، خاصة إذا علمنا أن النموذج الحضاري العربي حاز إعجاب و رضا كثير من الأقليات العرقية التي كانت تعيش تحت حكم الإفرنج[132] خلال ولاية شارل مارتل نفسه. أما الذي يهمنا أكثر في هذا المقام فهو سعي الطرف الغربي الفرنسي إلى استكشاف حقيقة هذا العدو الذي لم يكن في الحسبان، و هو ما يضعنا أمام إرهاصات نشوء علم الإستشراق الفرنسي منه خاصة وإنه لمن المسلم به القول أن المدرسة الإستشراقية الفرنسية من أقدم و أعرق المدارس الغربية في الميدان، و من أقواها حضورا منذ ظهور طلائع المستشرقين الأوائل المعروفين، و ليس أدل على ذلك من أن أقدم مستشرق معروف متفق عليه ليس إلا الفرنسي " جربرت دي أوريلياك" السابق الذكر في الفصل السابق و الذي استمر تلامذته -و من أتبعهم في الميدان ذاته- في بذل الوقت و الجهد و المال للوصول بالدراسات الشرقية في بلادهم – خاصة التاريخية و الدينية و الاجتماعية منها- إلى مصاف ضروب العلم الأخرى التي كانت تحظى بمكانة مرموقة ومحترمة، و عودا إلى ما سبق نقول إن اللقاء العسكري الأول بين الفرنسيين و الفاتحين المسلمين ولّد لدى الطرف الفرنسي رغبة ملحة في معرفة سر قوة هذه الحضارة الوليدة ، هذه الرغبة هي

132_المرجع السابق. ص 19.

التي دفعت الفرنسيين في فترة ما بعد المواجهات الساخنة إلى البحث عن المنجزات الحضارية العربية و العكوف على دراستها و الاستفادة منها، و لقد تجلى هذا في فترات مبكرة منذ القرن الحادي عشر الميلادي ف" حين سقطت طليطلة سنة 1085م في يد الملك الإسباني ألفونس السادس، سارع العلماء الأسبان و الفرنسيين.....إلى العكوف على كنوز المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة لدراستها و ترجمة جانب منها"[133].

و يبدو أن هذه المخطوطات قد حولت طليطلة إلى كعبة للدارسين من أرجاء أوروبا و فرنسا خاصة، يلتقون جميعا و يحاولون ترجمة ما يستطيعون ترجمته من العربية إلى اللاتينية لغة الثقافة المشتركة لجنوب أوروبا آنذاك.ودفع هذا الحماس بعضهم إلى المدى البعيد، فهذا المطران ريمون- مطران قشتالة- كون فريقا من " المترجمين الفرنسيين و اليهود و العرب قدموا باكورة التراجم عن العربية لمؤلفات ابن سينا والكندي و الفارابي و ابن رشد"[134] ، و لم ينقطع سعي الفرنسيين نحو المخطوطات العربية النفيسة و البحث عنها، بل استمر و تتابع بوتيرة متباطئة أحيانا متسارعة أحيانا أخرى حسب الظروف السائدة في كل مرحلة، فنرى أن الوتيرة ما لبثت أن أخذت تتسارع وتخطو خطوات مهمة أثناء فترة الحروب الصليبية التي أعطتهم منفذا جديدا نحو معاقل هذه النفائس من المخطوطات و الكتب في الشرق، فجلبوا منها الكثير[135]. بل

133_ المرجع السابق، ص 20.

134_ المرجع نفسه ، ص 20.

135_ المرجع نفسه ، ص 20.

وصل الأمر في بعض الأحيان إلى أنها صارت- أي المخطوطات – هدفا لبعض غاراتهم، و الحادثة التي رواها الفارس العربي الشهير أسامة بن منقذ خير دليل على ذلك[136].

وصار تزايد أعداد المخطوطات العربية القادمة من الأندلس تارة، و من باقي مناطق الشرق تارة، و نشاط حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية خاصة، دافعا للقيام بإعداد إحصاءات بالمترجمات العربية إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر الميلادي." و قد أحصى "ليكليرك" ثلاث مئة عمل مترجم حتى القرن الثالث عشر ، منها تسعون في الطب و تسعون في الفيزياء الطبيعية و سبعون في الرياضة و الفلك"[137].

كل هذا إنما يدل على ازدياد حركة البحث عن المخطوطات العربية النفيسة و العمل على تصنيفها و فهرستها، خاصة في فرنسا، فشكلت- أي حركة الترجمة – إحدى الظواهر الثقافية المهمة خلال القرون التالية خاصة إبان القرنين السابع عشر و الثامن عشر الميلاديـــن. و على هذا النسق استمرت رحلة البحث عن نفائس المخطوطات العربية بكل الطرق المتاحة، فمن جهة بعثات الطلبة الذين كان من نصيبهم حظ وافر من مكنونات هذه الكتب و من علمها الزاخر، و من جهة بعثات الرحالة و الحجاج والسفراء و المبعوثين الذين لم يألوا جهدا في اقتناء ما أتيح من الكتب و المخطوطات خاصة عن طريق شرائها من مختلف المناطق مثل" العاصمة العثمانية إسطنبول التي كانت مكتباتها العامة و الخاصة تعج بالمخطوطات العربية المجلوبة إليها من الولايات العربية

136_ سبق لنا تناول هده الملحوظة في الفصل الأول.ص48.

137_ الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي ،احمد درويش ، ص 21.

المختلفة"[138] كما كانت تجمع من بعض المدن العربية الكبيرة على غرار دمشق و بغداد وفاس و غيرها من كبريات الحواضر الإسلامية.

و لقد كثرت المخططات العربية في المكتبات العامة و الخاصة في فرنسا، خاصة أنها كانت ميزة للتباهي زيادة على أهميتها العلمية و التاريخية، و وصل عدد هذه المخطوطات حسب بعض الدراسات " 1683 مخطوطة سنة 1838م"[139]. و بالتالي تزايد الإحساس بأهميتها مما دفع لويس السادس عشر فيما بعد إلى" مشروع طموح يهدف إلى ترجمة كل هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية"[140] لكنه مات قبل تحقيق مراده، و ما فتئت الأمور تتحسن بالنسبة للفرنسيين و تسوء بالنسبة للدولة أو الخلافة الإسلامية. فبعد الاتصال المباشر بين فرنسا و العالم العربي و الذي حدث في القرن التاسع عشر، انطلاقا من حملة نابليون على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، و لتونس سنة 1881م، ثم تواجدها بالمغرب و الشام بعد ذلك، نقول بعد هذا الاتصال زادت روافد المخطوطات العربية التي بدأت تتدفق من المستعمرات الجديدة و البلدان المنتدبة إلى المكتبات الفرنسية، و على سبيل المثال الدال على قوة هذه الروافد الجديدة، نجد أنه في " الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ عدد المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس (Bibliothèque Nationale) وحدها ثلاثة آلاف و خمس مئة مخطوط

138_ المرجع نفسه . ص 21.

139_ الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر، الطيب بن إبراهيم. ص 25.

140_ المرجع نفسه ، ص26.

"[141] . وقد تضاعف هذا العدد الآن فتجاوز" سبعة آلاف صنفت تصنيفا جيدا و حفظت بأحدث الوسائل العلمية"[142].

إن هذه الأعداد الهائلة من المخطوطات العربية و المنجزات الحضارية العربية المختلفة التي عرفتها فرنسا منذ أزيد من ألف عام و التي لم تتوقف عن النمو و التراكم، قد أوجدت حولها طبقة من الدراسيين و الباحثين المهتمين باللغة العربية و آدابها و الذين شكلوا في معظمهم رجالات الاستعراب أو الإستشراق بوجه عام. و قد واكب عمليات الجمع هذه دراسات علمية " للمستشرقين الفرنسيين عن علوم المخطوطات العربية و من أشهرها كتاب بلاشير و سوفاجيه Règles Pour Editions Et Traductions Des Textes Arabes" " قواعد تحقيق المخطوطات العربية و ترجمتها"[143] . إن كل ما سبق يعطينا لمحة مختصرة عن مدى قوة وحيوية العلاقة التي قامت بين فرنسا و العالم العربي و لا زالت إلى يومنا هذا رغم اختلاف أجيال المستشرقين و كذا جماهيرهم و مريديهم و اختلاف الظروف العامة المحيطة بهذه العلاقة، و لعلنا نسوق هنا معلومة قد توضح ما نرمي إليه مما سبق، حيث إن المتصفح للكتاب القيم جدا للدكتور عبد الرحمن بدوي " المستشرقون " سيلاحظ مع بعض الجهد أنه احتوى على أكثرمن خمسين إسما لمستشرقين فرنسيين، في حين اقتصر عدد الإنجليز منهم على بضع و ثلاثين اسما، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحضور القوي لواحدة من أكبر المدارس الإستشراقية قديما و حديثا على قدم سواء . أما الآن فسنتقدم لنعطي

141_ المرجع نفسه. ص 22.

142_ المرجع نفسه ، ص 22.

143_ ، الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي ،احمد درويش ص 23.

تفصيلا للخطوات التي جسدت هذه العلاقة – علاقة فرنسا بالتراث العربي- تجسيدا فعليا منذ العصور الأولى للإستشراق إلى يومنا هذا، مع ملاحظة أن هذه الآليات التي سنتكلم عنها لم تكن في فرنسا وحدها، بل انتشرت في أنحاء معروفة من أوروبا كإيطاليا و بريطانيا و ألمانيا على سبيل المثال لا الحصر.

ب- كراسي اللغات الشرقية:

طلبت فرنسا الثقافة العربية- على اختلاف جوانبها – في مدارس الأندلس خاصة بالإضافة إلى صقلية ، و ما إن أطل القرن الثاني عشر حتى ظهرت أول مدرسة عنيت بتدريس اللغة العربية و آدابها ضمن تدريس اللغات الشرقية الأخرى. و نحن نقصد " مدرسة " ريمس Reims" التي قامت بأمر من البابا سيلفستر الثاني "[144]. و هذه المدرسة تعتبر رائدة في فرنسا .إلا أنها ليست الوحيدة ، فبعد قيامها قامت مدارس أخرى بعضها درس مختلف اللغات و العلوم و بعضها تخصص في اللغات فقط [145]. نجد من بين هذه المدارس " مدرسة شارتر" – 1117م. و مدرسة مونبلييه للطب – 1220م." و قد أنشأتها بقية من الجالية الإسلامية المغربية كانت على صلة بالإسبان و اليونان. فطارت شهرتها و توافد عليها طلاب الطب من كل صوب. ثم في مدارس أديار الرهبان"[146] وقريبا من ذلك تم الاعتراف بنقابة الأساتذة بباريس، هذه النقابة التي صارت " نواة جامعة باريس"[147] و فور وقوع ذلك أقر به البابا أنوسنت الثالث – و

144_ المستشرقون.نجيب العقيقي.دار المعارف.ص 138.

145_ المرجع نفسه ، ص138.

146_ المرجع نفسه ، ص 139.

147_ المرجع نفسه ، ص 138.

كان من خريجيها – و أقر قوانينها عام 1210م. و مع بداية القرن الرابع عشر قضى البابا إكليمنس الخامس في مجمع فيينا (1311-1312م) بإنشاء كراس للعربية و العبرية و الكلدانية في عواصم أوروبية يومئذ: باريس، رومة، أكسفورد، بولونيا، و صلمنكة. فأنشأت جامعة باريس كرسيا للغات السامية ، في العصور الأخيرة أنشأ كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة باريس تتمة للقسم العربي في السوربون (1955م)[148].

و في السطور التالية سنحاول أن نعدد بعض اللحظات و المحطات التاريخية التي مثلت ظهور بعض المعاهد و الجامعات – فيما بعد- و بالتالي ظهور كراسي اللغة العربية فيها إلى جانب كراسي اللغات الشرقية الأخرى.

*- جامعة تولوز: - Toulouse- 1217م: و قد أنشأها رجال الدين المسيحيون بمباركة من الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا[149].

*- جامعة بوردو:-Bordeaux-1441م: و فيها معهد الآداب للغة العربية و التمدين الإسلامي[150].

*- ريمس: - Reims- : أنشأ الملك فرانسوا الأول كرسيا للعربية و العبرية (1519م). و لم يكتف الملك بمدرسة ريمس، بل أنشأ معهد فرنسا – "

148_ الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه-طيب بن براهيم- دار المنابع.ص 61

149_ المستشرقون.نجيب العقيقي.دار المعارف ص 139.

150_ المرجع نفسه ، ص139.

كوليج دي فرانس – Collège De France" 1530م . و أعد فيه كرسيين للعبرية و اليونانية و أضاف إليهما الملك هنري الثالث كرسيا للعربية سنة 1587م[151].

* و في سنوات 1699م ، 1718م و 1721م وقع الملك لويس الرابع عشر قرارات رسمية تؤلف ما عرف ب: " بعثة فتيان اللغات "[152]. فتعلم فتيان هذه البعثات اللغات السامية في معاهد باريس، و في مدرسة الشباب الملحقة بمعهد لويس الكبير ثم أرسلوا إلى القسطنطينية ، و بعد ذلك ألحقوا بالسلك السياسي ، أو انتدبوا للترجمة، أو عينوا أساتذة للغات السامية في فرنسا بعدما تضلعوا فيها و برعوا.

* ثم أنشأت مدرسة ستعتبر محطة من الأهمية بمكان، و هي " المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية" بباريس سنة 1795م[153] . Ecole Nationale Des Langues Orientales Vivantes، و في الأغلب الأعم كانت موجهة للسفراء و القناصل و كذلك التجار الذين كان الشرق مقصدهم. و هي المدرسة التي أصبحت محجا للطلاب يتوافدون عليها من كل أنحاء أوروبا لما تولى " العلامة دي ساسي تدريس العربية و الفارسية فيها .....و لم يحدث أن ازدهرت مدرسة إستشراقية في الغرب ازدهارها، و معظم من بزغ نجمه في الإستشراق في ذلك العهد كان من طلابها[154].

من أشهر جامعات فرنسا – إن لم تكن الأشهر – جامعة السوربون التي ظهرت سنة 1257م على إثر هبة من الأب " روبر دي سوربون "[*]، و بعد ذلك بحوالي أربعة

151_ المرجع نفسه ، ص 139.

152_ المرجع نفسه ، ص 139.

153_ المستشرقون.نجيب العقيقي ، ص 139.

154_ المرجع نفسه. ص 140.

قرون و بالتحديد سنة 1626م جدد بعض رجال الدين بناءها. وفي سنة 1808م قام نابليون بضمها إلى جامعة باريس، و فيها عني معهد الآداب – Institut De Littérature- بتاريخ الفن الإسلامي المغربي، و تاريخ الشعوب الشرقية.....ثم ألحق بمعهد الآداب معهد الدراسات الإسلامية – Institut D'Etudes Islamiques- و فيه اللغة و التاريخ و الدراسات الدينية و اللغات و علم المجتمع الإسلامي[155].

* جامعة ليون 1808م – Lyon- و فيها كانت تدرس اللغة العربية و المصريات – علم الآثار المصرية – و التمدين الإسلامي[156].

* المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس..1868م: و فيها قسم العلوم الدينية الملحق بالسوربون، و المختص بدراسات الإسلام و أديان الجزيرة العربية، و فقه اللغات الشرقية[157].

* جامعة ستراسبورغ 1872م- Strasbourg- و درس فيها تاريخ الشرق، و قد تحولت إلى ألمانيا قبل أن تستعيدها فرنسا سنة 1917م[158].

* المعهد الكاثوليكي في باريس 1875م – Institut Catholique De Paris- و فيه تم تدريس اللغات العربية و السريانية و القبطية و الحق القانوني الشرقي[159].

155_ المرجع السابق، ص 140.

156_ المرجع نفسه، ص 140.

157_ المرجع نفسه ، ص 140.

158_ المرجع نفسه ، ص140.

159_ المرجع نفسه ، ص 140.

على أن تدريس اللغات السامية لم يقتصر على معاهد و جامعات فرنسا الداخلية،فالباحث يجد أن الإدارة الفرنسية أنشأت مثيلات لها- للمعاهد و الجامعات طبعا – في الشرق الأدنى- المغرب العربي حاليا- و شمال إفريقيا، و عملت على تزويدها بالمكتبات و المطابع دون إغفال الأساتذة و المحاضرين الذين كانوا روادا لها. و في التالي نورد أهم هذه المدارس و المعاهد التي أسستها الإدارة الفرنسية.

* معهد مصر: 1798م – Institut D'Egypte-[160] : و قد أسسه نابليون بونابرت مباشرة بعد دخوله مصر أثناء حملته الشهيرة.

* المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة: 1880م- Institut français d'Archéologie Orientale , Au Caire[161].

* كلية بورجاد- 1841م- Bourgade- في تونس، أنشأها الأب بورجاد من الرهبان البيض، و هي الكلية التي تحولت فيما بعد إلى معهد الآداب العربية(1937م)[162].

* معهد قرطاجة: في تونس- 1895م[163].

* معهد الدراسات العليا: تونس- 1945م[164].

160_ المستشرقون. نجيب العقيقي. ص 141.

161_ المرجع نفسه، ص141.

162_ المرجع نفسه ، ص 141.

163_ المرجع نفسه ، ص 141.

164_ المرجع نفسه ، ص 141.

* مدرسة الآداب العالية في الجزائر: 1881م- و التي تحولت فيما بعد إلى صرح علمي هام هو جامعة الجزائر (1909م)، و عنيت بتدريس اللغة العربية العصرية و علم الآثار الإسلامية و التاريخ. ألحق بها بعد ذلك معهد للدراسات الشرقية[165].

* معهد الدراسات المغربية: في الرباط سنة 1931[166].

* المعهد الفرنسي: في دمشق سنة 1922م[167].

* المعهد الفرنسي الإيراني: طهران سنة 1948م[168].

و بعد سنة 1957م، عملت فرنسا على إدخال مواد جديدة في التعليم الثانوي عن التطور التاريخي للشرق و الحضارات الكبرى، و كان حظ الحضارة العربية الإسلامية من ذلك وافرا بالنظر للتقارب التاريخي و الظروف التاريخية التي حكمت علاقة فرنسا بالعالم العربي الإسلامي.

ج-المـكتبـــــــــات:

لقد تحدثنا في الصفحات السابقة عن قوة توارد المخطوطات العربية على فرنسا، وذكرنا تنوع هذه المخطوطات و كثرتها مما حتم وجود مكتبات على اختلاف أشكالها عامة كانت أو خاصة لاحتواء هذا الكم الهائل من هذه المخطوطات و كذا احتواء كم الدراسات و الفهارس التي صيغت حولها من لدن الباحثين و العلماء و التخصصين. و قد

165_ الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر. الطيب بن براهيم. ص 75.

166_ المستشرقون. نجيب العقيقي، ص 141.

167_ المرجع السابق ، ص 141.

168_ المرجع نفسه ، ص 141.

حفظت هذه المكتبات مئات الألوف من الكنوز من الكتب القيمة. ومن أهم هذه المكتبات نجد:

1-مكتبة باريس الوطنية(1654م) – Bibliothécaire National de Paris- : من أهم المكتبات الفرنسية على الإطلاق بالنظر إلى قيمة ما تحتويه من نفائس، فضلا عن العدد الكبير لكل المؤلفات، فهي تحتوي على ستة ملايين من الكتب والمخطوطات منها نحو سبعة آلاف مخطوط عربي بينها نفائس علمية و أدبية و تاريخية ونوادر قلما توجد في غيرها[169]. وقد تنوعت مصادر الكتب لهذه المكتبة منذ بداياتها، فمن أيدي المستشرقين الباحثين، إلى المستشرقين الذين كانت كل مهمتهم البحث عن المخطوطات-التي كانوا عارفين بقيمتها-،مثل البعثة التي " أوفدها الوزير كولبر إلى الشرق الأدنى، فابتاعوا لها – أي للمكتبة الوطنية- 630 مخطوطا"[170]، ذهابا إلى مخطوطات مكتبات الأديار و الكنائس و ما أرسله نابليون بونابرت من حملته على مصر(320 مخطوطا). و هكذا تجمعت في هذه المكتبة أعداد كثيرة من المخطوطات العربية القيمة من أقدم العصور، ففيها قطع من القرآن على الرق من القرون الثاني و الثالث والرابع الهجري، و كذا بعض الكتب الشهيرة لعلماء مسلمين معروفين، كالمدخل الكبير في أحكام النجوم لأبي معشر البلخي (325 ه) و كتاب الكنى و الأسماء للدولابي (381ه) ، و كتاب الخراج ليحي بن آدم القرشي (489ه)، و مقامات الحريري، وهي مزدانة بأروع الصور (619ه). و نسخة كاملة من نزهة المشتاق الإدريسي[171].

169_ الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي. أحمد درويش. ص 22-23.

170_ المرجع نفسه، ص 23.

171_ المسشرقون . نجيب العقيقي. دار المعارف. ص 142.

و قد صاحبت هذه المخطوطات كما ذكرنا محاولات عديدة لفهرستها و تبويبها و ضبطها لتسهيل الإطلاع عليها من قبل باحثي الأجيال اللاحقة. من بينها مصنف – هربلو –: " المكتبة الشرقية أو المعجم العام "[172]. في بضعة مجلدات (باريس 1657م والطبعة الثانية 1738م). و مصنف للبارون دي سلان بعنوان : " فهرس المخطوطات العربية و السريانية في مكتبة باريس الوطنية"[173] في أربعة أجزاء يصف فيه 4665 مخطوطا عربيا يتناول عنوان الكتاب واسم مؤلفه بالعربية، ثم مزايا المخطوط و نوع الورق والحجم و تاريخ النسخ و عدد الصفحات و السطور في كل صفحة بالفرنسية، و الفهرس متقن يعتمد عليه لقلة الغلط و السهو فيه[174]. و هذا دليل جميل على الدقة و التفاني اللذين كان يتميز بهما قسم كبير من المستشرقين في عملهم عامة. و ليس هذا إلا غيضا من فيض من جملة الفهارس التي تحشم جمع المستشرقين تدبيجها و تحبيرها، فالمتصفح للبحوث و الكتب الإستشراقية – القديمة خاصة – قد قدم عملا واحدا على الأقل ، سواءا كان مستقلا في ذاته ، أو تتمة لعمل غيره، في مجال فهرست المخطوطات وتبويبها و وصفها و كتابة مقدمات حول تاريخها و ما إلى ذلك من معلومات قد يراها الباحث قيمة مفيدة بالنسبة لعمله، و تضم مكتبة باريس الوطنية ، عدا المخطوطات النفيسة و الكتب التراثية النادرة " نوادر النقود و الأوسمة و الأختام و الخرائط "[175] و عددا كبيرا مما يشبه ذلك من الكنوز التاريخية .

172_ المرجع نفسه، ص 143.

173_ ، المرجع نفسه .ص143.

174_ المرجع السابق.ص143.

175_ المرجع نفسه .ص143.

2-مكتبات المعاهد و الجامعات:

و فيها يجد الباحث نصيبا قيما من المخطوطات و الكتب الثمينة، و لا عجب في ذلك إذا علمنا أن قيمة هذه الكتب النادرة تدفع أي مؤسسة تربوية ثقافية إلى محاولة اقتناء ما يمكن اقتنائه منها، إضافة إلى دفع منتسبيها إلى البحث عنها و فيها و غرس حب هذا المضمار فيهم و تشجيعهم على الغوص فيه من خلال كل الوسائل المتاحة ،ومنها – أي مكتبات المعاهد- نجد:

1- مكتبة ستراسبورج: صنف فهرس مخطوطاتها العربية جوليوس أوتنج* (1877م).

2- مكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية: صنف فهرس مخطوطاتها الشرقية لامبرخت* (1897م).

3- مكتبة أفينيون : صنف مخطوطاتها العربية شارل بيلا* (1944م).

4- مكتبة الجمعية الأسيوية في باريس: صنف فهرس مخطوطاتها العربيـــة جورج فايـــدا (المجلة الأسيوية: العدد 238 سنة 1950م).

هذا و يشير نجيب العقيقي في كتابه المهم " المستشرقون " أن فرنسا – في زمن طبعه لكتابه و بعده- و الحكومة الفرنسية عنيت و لا زالت بوضع " فهرس شامل لجميع المخطوطات العربية في سائر مكتبات فرنسا، هذا عدا فهارس المخطوطات الشرقية في مكتبات الجامعات و المعاهد و المؤسسات الخاصة و العامة "[176].

* المكتبات الخاصة[177]: و نحن هنا نقصد المكتبات التي كانت بمعية المستشرقين و ملكا لهم، و كذا مكتبات رجال الدولة و غيرهم ممن كانت لهم القدرة على اقتناءها . وقد

176_ المرجع السابق. ص 144.

177_ المرجع نفسه، ص 151/144.

قام كثير من المستشرقين و الكبراء في الدولة بوهب قسم كبير من هذه المكتبات الخاصة للمكتبة الوطنية بباريس ، إلى جانب آخرين قاموا بوقفها كليا على هذه الهيئات و المؤسسات.

* مكتبات المستعمرات: و هنا سنخص بالذكر مكتبات شمالي إفريقيا التي كانت أغلبها تحت السيطرة الفرنسية و التي نشط فيها المستشرقون الفرنسيون أيما نشاط. وفي التالي أسماء المستشرقين و عناوين فهارسهم التي أتيح لنا العثور عليها في بطون مصادر و مراجع هذا البحث.

- **دينه باسه**: فهرس المخطوطات العربية في مكتبتي فاس (الجزائر 1883م) ، ومخطوطات جلفا* (نشرة المراسلات الإفريقية 1884م) ، و فهرس مكاتب الزوايا (الجزائر 1886م).
- **فانيان**: فهرس المخطوطات العربية و التركية و الفارسية في مكتبة مدينة الجزائر الوطنية (في سلسلة الفهرس العام لمخطوطات المكتبات العامة في فرنسا. المجلد8. 1893م).
- **روي** : فهرس المخطوطات التاريخية المحفوظة في مكتبتي جامع الزيتونة. العبدلية والأحمدية (تونس 1900م) .
- **جورج سالمون**: فهرس مخطوطات مكبة خاصة في طنجة (المحفوظات المغربية 1905م) .
- **مايار**: فهرس المصنفات المغربية في مدينة طنجة (مجلة العالم الإسلامي. 1917م .1918م).
- **كـــور**: فهرس المخطوطات في كبرى المكتبات الجزائرية (الجزائر 1907م).

- **بلوشه:** فهرس البعثة العلمية في المغرب (1909م).
- **ديستنج:** المخطوطات العربية في غربي إفريقيا (المجلة الإفريقية 1911م – 12-13).
- **ألفريد بول:** فهرس الكتب العربية في مكتبة جامع القرويين بفاس (فاس 1918م).
- **ليفي بروفنسال:** المخطوطات العربية في الرباط (باريس 1921م. الرباط 1922م)
- **بلاشير و رينو:** فهرس المخطوطات العربية المستجدة في المكتبة العامة لمحمية المغرب(1929م-1930م) و فهرس المخطوطات في المعهد العلمي في الرباط (هيسبريس 1931م).
- **رينو:** المخطوطات العربية المتعلقة بالطب في مكتبة الرباط (نشرة الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب 1923م). و الفهرس " المزعوم" لمكتبة جامع القرويين بفاس (هيسبريس.18. 1934م).

إن كل ما سبق يدلل بطريقة أو بأخرى على مدى اهتمام الإستشراق الفرنسي بعلاقته بالحضارة الإسلامية في جوانبها المختلفة، و بالإضافة لكراسي اللغة العربية التي مهدت للدراسات العربية ، و كذا المكتبات العامة منها و الخاصة و التي أتاحت الإطلاع على الموروث العربي الإسلامي، نجد عنصرا آخر مهما جدا في إطار التنمية العلاقات المعرفية مع العالم العربي و أدبه و ثقافاته، و هذا الرافد الآخر هو المجلات العلمية والخاصة بالإستشراق و بحوثه، فقد أنشأت جمعيات المستشرقين الفرنسيين عددا من المجلات " تعنى جميعها بالعرب في تحقيق تاريخهم و جغرافيتهم و أنسابهم، و بحث أديانهم و شرائعهم و مذاهبهم و أخلاقهم ، و درس لغاتهم و علومهم و آدابهم و فنونهم "

فاطلعت الغرب على كل ما يتعلق بالشرق في خصائص تطورهم، فألفت مجموعة كونت مكتبة نفيسة فيها زبدة أعمال المستشرقين ، و من أهم هذه المجلات العلمية نجد:

3-المجلات و الدوريات:

1-صحيفة العلماء (1665م) Le Journal Des Savants. Paris:

وتصدر عن جمعية العلماء الفرنسيين في باريس كل ثلاثة أشهر، و أغلبها أبحاث تتميز بالرصانة و التعمق[178].

2- المجلة الأسيوية (1822م) Journal Asiatique: و هي صحيفة أطلق عليها المعربون اسم مجلة، تصدرها الجمعية الأسيوية في باريس. تأسست تحت رعاية دوق أورليان الذي تملك – أصبح ملكا – بعد ذلك بعشرين سنة باسم لويس فليب ، وكانت رئاستها للعلامة " سلفستر دي ساسي " . تصدر كل ثلاثة أشهر تبحث في العرب تاريخا و جغرافيا و ثقافة و فنونا. و قد وصلت أعداد هذه المجلة إلى حوالي 330 مجلدا يتراوح عدد صفحات الواحد منها بين 300 و 700 صفحة تناولت تراث القارة الأسيوية، خاصة العالم العربي الإسلامي الذي حضي بنحو الثلثين من تلك الصفحات. و خلال البحث يتضح للباحث كم كانت هذه المجلة الشهيرة شمولية في الدراسة لا تدع مجالا من المجالات المعرفية و الحضارية ،فمن الآثار إلى الفنون الجميلة إلى الاعتقادات والأساطير،مرورا باللغويات و الأدب، وصولا إلى مواد في التصوف و الفلسفة و العلوم التطبيقية و الرحلات[179].

178_ المستشرقون. نجيب العقيقي.ص 147.

179_ المرجع نفسه، ص 147-148.

3-**المجلة الإفريقية (1856م) Revue Africaine. Alger**: من أشهر مجلات الإستشراق الفرنسي ، عنيت بكل ما يمت بصلة لمستعمرات فرنسا في شمال إفريقيا في كل جوانب حياتها. كانت تصدرها الجمعية التاريخية الجزائرية في الجزائر[180].

4-**المجلة التاريخية (1876م) Revue Historique. Pris**: تصدر في باريس كل ثلاثة أشهر[181].

5-**مجلة تاريخ الأديان (1880م) Revue De l'Histoire Des Religions. Paris**: تصدر في باريس و هي حولية (تصدر كل سنة)[182].

6-**المجلة التونسية (1894م) Revue Tunisienne. Tunis** : كان يصدرها معهد قرطاجنة في تونس كل ثلاثة أشهر مرة[183].

7-**مجلة سيريا (1920م) Syria**: أصدرها ديسو- Dussaud كل ثلاثة أشهر مرة من باريس بالإشتراك مع مديرية الآثار في سوريا و المعهد الفني في دمشق[184] .

8-**مجلة الدراسات الإسلامية (1927م) Revue Des Etudes Islamiques. Paris**: صدرت في باريس تحت إشراف و رعاية المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون و مشاركة معهد الدراسات الإسلامية في باريس و المعهد الفرنسي في دمشق، كل ثلاثة أشهر مرة. " و كانت تنشر في العدد الأخير من كل سنة

180_ المرجع نفسه، ص 147.

181_ المرجع السابق ، ص147.

182_ المرجع نفسه ص147.

183_ المرجع نفسه ص 149.

184_ المرجع نفسه ص 149.

تبتا بالمصنفات الإسلامية (1927-1954م) لجميع المراجع. و مختصرا لمحاضرات أساتذة الإستشراق في باريس طوال العام ، على أسلوب منظم شامل يحيط بالنواحي التاريخية و الجغرافية في الإسلام إحاطة واسعة[185].

9-نشرة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية في دمشق (1931م) Bulletin d'études Orientales de l'institut français. كانت تصدر في باريس[186].

10-حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر(1934) annales de l'institut d'études orientales de l'université d'alger: كانت تصدر في العاصمة الفرنسية باريس.

هذه أغلب و أهم المجلات و النشرات التي مثلت الإستشراق الفرنسي في علاقته بالعالم العربي الإسلامي على أنها لا زالت هناك الكثير منها لم نذكرها مثل نشرة الدراسات العربية (1941م) . وكذا مجلة العربية " أرابيكا " (1954م)، ثم مجلة الأدب المقارن(د.ت) ، و غيرها كثير لا يتسع المقام لذكرها جميعا.

كل هذه الأدوات و الآليات المادية و المعنوية مثلت و لازالت تمثل قنوات عبور معرفة العالمين العربي و الإسلامي إلى الضفة الأخرى، و بعضها لا زال إلى يومنا هذا يواكب المتغيرات الاجتماعية و الثقافية و لا زال ينشط و يصدر و يؤلف، حتى في ظل الجدل الحامي حول نهاية الإستشراق من عدمه،و المهم في الأمر أن هذه القنوات كانت و لا زالت تحرص من خلال أشكالها المختلفة – الأكاديمية و غيرها- على حيوية

185_ المرجع نفسه، ص 150.

186_ المرجع السابق ، ص 150.

الارتباط و العلاقة التي تريدها فرنسا لنفسها مع العرب و المسلمين ، سواء كانت هذه العلاقة تتسم بالتوازن في الأخذ و العطاء، أو بنوع من الهيمنة و محاولة الغلبة على الطرف الآخر و تبرير السيطرة عليه ثقافيا و معرفيا. و خلاصة القول هنا أن كل هذه القنوات لم تكن إلا دليلا على قوة العلائق التي ربطت – و لا زالت – فرنسا بالعالم العربي و حياته و أهمية هذا التراث العربي – قديما و حاضرا- بالنسبة للغرب عامة و لها خاصة.

و في الباب التالي سنحاول أن نسوق بعضا من أهم الأسماء في الإستشراق الفرنسي مع لمحة و لو مقتضبة عن أهم أعمالهم التي كانت حول الإسلام وحياة العرب الثقافية،و الاجتماعية و الأدبية و غيرها لكننا ارتأينا أن نقوم قبل ذلك بعرض لبعض التواقيت التي نراها فارقة في مسيرة الإستشراق الفرنسي في ارتباطه المبكر بكل ما يرمز للعالم العربي الإسلامي، وهي لحظات تاريخية جاءت نتيجة ظروف معينة لها ملابساتها ودوافعها الخاصة و العامة.

يتراءى للدارس أن المدرسة الإستشراقية الفرنسية كانت سباقة تاريخيا و ذات كعب عال و ريادة سمحت لها بقطع أشواط كبيرة في مجالات البحث و التحليل والتأسيس لمناهج كان لها أثرها منذ ظهورها إلى الآن، لا على العالم العربي وحده بل على أوروبا و العالم أيضا. و اللحظة التاريخية الأولى التي نحاول جلاءها هي إنشاء مدرسة " ريمس – Reims " أوائل القرن الحادي عشر الميلادي بأمر من البابا " سلفستر الثاني – Silvestre II " (999م- 1003م) الذي ليس إلا عميد المستشرقين المعروفين ، ليس الفرنسيين فقط ،بل الأوربيين كافة حسب أغلب المصادر التاريخية المتاحة، " جربردي أورلياك " الذي تتلمذ في مدارس الأندلس على أرباب

العلوم في عصره في كل المجالات خاصة في علم الكلام و الفلسفة و اللغة و علومها. و لكن كيف و لماذا يمكن لنا أن نعتبر هذه المحطة فارقة و ذات تأثير؟. ببساطة لأنها و دائما حسب المصادر التاريخية[187] أول مدرسة أنشئت لتدريس اللغة العربية و علومها و الفلسفة و الطب وغيرها، ليس في فرنسا فقط، بل في أوروبا كلها. و بالتالي فإن ظهورها يتخذ مكانا هاما على الساحة التاريخية لأنها رائدة و استمرت في الوجود لمدة طويلة ، و كذلك لأن خريجيها و مريديها شكلوا النواة الأولى الأكثر وضوحا لجمع المستعربين و المستشرقين الفرنسيين الذين حملوا على عاتقهم نشر ما تعلموه و بحثه و دراسته و تحليله بغية الوصول بالعلوم التي درجوا فيها إلى مرحلة تمكنهم فيها من قهر الظلام الحالك الذي كان يلف أوطانهم .على أننا لا يحق لنا أن ننظر بهذه البراءة المطلقة لهذا الحدث و هذه المحطة، إذ سيكون ذلك من السذاجة المفرطة، و القول هنا أن قيام هذه المدرسة في ذلك الظرف التاريخي الحساس كان بمثابة تغريدة خارجة السرب، فالوضع على ما كان يميزه من هدوء نسبي إلا أنه كان وضع مواجهة بين الشرق الإسلامي ممثلا في الأندلس خاصة و الغرب بصفة عامة. و بالتالي فالعداء كان شديدا لكل ما هو عربي مسلم في شخصه، أو في موضوعه و نسبته. فلا يكون ظهور مدرسة تعنى بدراسة علوم العرب و تدريسها و تعليم لغتهم بالأمر البسيط الهادئ، بل إننا نكاد نجزم أنه لولا أن الأمر بقيام هذه المدرسة جاء من أعلى سلطة و هي السلطة الدينية لكان الأمر مستحيلا، و مجددا أيضا نقول أنه لـــولا أن البابا " سيلفستر الثاني" كان فرنسيا–و بالمناسبة فهو أول فرنسي يعتلى سدة البابوية– و لولا أنه كان من خريجي مدارس

187_ بنظر" المستشرقون" لنجيب العقيق. " فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر" لأحمد سمايلوفيتش. " الظاهرة الإستشراقية " لساسي سالم الحاج. و " المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي " لعبد العظيم الديب.

الأندلس التي قضى فيها سنينا من عمره لما كان ظهور المدرسة أمرا ممكنا ، فتمدرس هذا الرجل هناك أتاح له التعرف عن قرب إلى المجتمع الإسلامي القائم و خاصة في ظل التسامح المتميز الذي كان سمة في ذلك المجتمع، و كذلك فإننا لا نغفل بعض الأهداف من هكذا مدرسة و من هكذا منهج. فدراسة لغة العرب و علومهم ليست دليلا على حبهم فقط – هذا إن كان هنالك حب – أو احترامهم على الأقل بل هي دليل قوي على مدى الخوف و التوجس من قوتهم العسكرية و الاقتصادية و الفكرية الثقافية خاصة و المثل القائل: " من تعلم لغة قوم أمن شرهم " خير بيان لما نريد بيانه. فلا تكون هذه الدراسة و هذا البحث إلا أداة للمواجهة من باب معرفة الخصم و الإطلاع على دقائق أموره التي سوف تكون حاسمة في تعبيد الطريق لمواجهته فكريا و عقائديا قبل مواجهته عسكريا. أما المحطة التاريخية الثانية التي نرى أنه كان لها أثر عظيم في عصرها، و كانت تمثل لحظة فارقة بين ما قبلها و ما بعدها، و هي ترجمة القرآن الكريم، أو ترجمة معاني القرآن كما يحب أن يميزها أهل الميدان.و هي في حقيقتها ليست إلا امتدادا لما سبقها من تحضيرات و من خطوات قطعها الإستشراق بتبات تحت مظلة الكنيسة و بتوجيه منها[188].

و الشخصية المحورية في هذا الحدث هو الراهب و المستشرق " بطرس المبجل- Pierre le vénérable" . (1092م-1156م). رئيس دير " كلوني – Cluny الشهير"[189]. و كان قد زار إسبانيا مرتين و اهتم بمراقبة و دراسة أحوال المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين في الأندلس و خلال هذه

188_ الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر. الطيب بن براهيم. ص 53 -89.

189_ الظاهرة الإستشراقية. ساسي سالم الحاج. دار المدار الإسلامي. ط1 .2002م.ج43/1.

المشاهدات و معايشة هذا الواقع و بدافع الغيرة على دينه و مصالح وطنه " استقر رأيه على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بغية فهمه أولا ، و الرد عليه ثانيا "[190] . وتذكر بعض المصادر أنه قصد بعض مدارس الترجمة من العربية إلى اللاتينية لكسب المعرفة التي ستؤهله لعمل ما استقر في نفسه و قلبه[191]، غير أن نفس المصادر تشير في الباب نفسه أنه لم يقم بهذه المهمة وحده بل تلقى المساعدة من لدن أهل الاختصاص الأقدم منه والأكثر تحكما منه في مادة الترجمة. و تمت " هذه الترجمة عام 1143م "[192] فكان لهذا الحدث أثر عظيم في مجال الدراسات الإسلامية بأوروبا الغربية. و لقد كان الغرض من هذه الترجمة ظاهرا منذ البداية كما أسلفنا و هو الرد عليه بعد فهمه و الإحاطة به . والظاهر أن بطرس هذا كان يعتقد – ضمن ما يعتقده – أن الإسلام ليس إلا هرطقة مسيحية ، بل أشد الهرطقات ضررا و أكثرها خطرا على المسيحية. و بالتالي فإن معرفة القرآن و الرد عليه بالصورة المناسبة القوية–التي لم تتوفر إلا في أيامه حسب اعتقاده– كان هو الهدف الأسمى من ترجمته، إضافة إلى هداية المسلمين – بزعمه – إلى محاسن المسيحية و ردهم عن غوايتهم التي هم فيها، دون إغفال عمله على حماية " ودعم إيمان المسيحيين السذج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم "[193]. و منه نرى أن هذه الترجمة، و هي الأولى للقرآن الكريم من العربية إلى اللاتينية كانت بمثابة حجر

190_ المرجع نفسه. ص 44.

191_ المرجع السابق. ص 44.

192_ المرجع نفسه. ص 44.

193_ المرجع نفسه. ص 45.

أساس لما تلاها فيما يخص الدراسات الإسلامية في أوروبا و بالتالي فإنها كلحظة تاريخية تحتفظ بكامل حيويتها و عنفوانها.

واللحظة الهامة الثالثة هي بلا شك ترجمة قصص " ألف ليلة وليلة" للغة الفرنسية في القرن الثامن عشر الميلادي. وبالأحرى مطلعه فما بين سنتي 1704م و 1708م قام أنطوان غالان، المستشرق والرحالة الفرنسي- قليل الشهرة آنذاك- بترجمة الأغلب الأعم من مخطوط لألف ليلة وليلة تأتى له خلال أسفاره وبالضبط في بلاد الشام (هناك من يؤكد أن صديقا حلبيا هو الذي أهداه له)[194]. وليس هناك عمل أثر في الأوربيين عامّة تأثير هذه القصص فيهم لدرجة رفيعة لا يمكن تخيلها. فصارت " ألف ليلة وليلة" أكثر ما تداوله القراء من كتب، وسعى أدباء فرنسا لمحاكاتها والاقتباس منها للمسرح وغير ذلك من فنون الأدب المعروفة، ومما ساعد على ذلك عدى عن كونها عملا غاية في الروعة والبهاء-ظن الجميع في ذلك العصر بأن هذا المخطوط وقصصه بما تشتمل عليه من حوادث وخوارق وغرائب تطوق الخيال المجنح حتى، هي الصورة الصادقة المجتمع العربي الشرقي، وأوضح انعكاس لعاداته وأخلاقه، أفكاره وأديانه وشعوبه وأساطيره وخرافاته، وأوضح وصف لتكوين الإنسان العربي والمسلم الفكري والاجتماعي والنفسي سواءا كان من الخاصة أم من عامة الناس.وبالتالي فإن " ألف ليلة وليلة" هو الشرق" ومن قرأها فكأنه رحل إليه فسمعه ورآه ولمسه لمس اليد" [195].

كان لهذه المحطات، كل حسب زمانها، تأثير بالغ في مجرى الأحداث بين الشرق والغرب وتأثير كبير كذلك في تكوين الصورة النمطية التي تخدم مصالح الغرب عن الشرق وحياته. والذي يهمنا أكثر في هذه المحطات هو أنها كانت من صنائع الإستشراق

---

[194]) الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، ص 82
[195]) المستشرقون نجيب العقيقي، ص 156

الفرنسي ورجالاته، والذي يثبت بدوره علو كعب هذه المدرسة الإستشراقية المتميزة منذ بداياتها إلى الآن.

والآن نعرض لبعض أهم المستشرقين الفرنسيين الذي غصت بهم وبأسمائهم وأعمالهم بطون الكتب التي بحثت في تاريخهم وقامت بتحبير سطور وصفحات حولهم سواءا بالمديح أو بالذم، أو بالدرس والتحليل الموضوعي الرزين الذي يكافئ المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

د-أهم المستشرقين الفرنسيين:

1-جربيردي أورلياك (Gerbert de Aurillac) [196]: 930-1003م: يتفق أغلب الباحثين في تاريخ الإستشراق أنه أقدم من مثل الإستشراق المعروف حاليا، وهو بذلك عميد المستشرقين عامة و الفرنسيين خاصة، ولد في :أورلياك"Aurillac حوالي سنة 1930م، نشأ في دير للقديس جيرو Saint-Gérault وبعد ذلك ذهب إلى الأندلس وتلقى من علماء العرب المسلمين علوم الهندسة والميكانيكا والفلك وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر. يعزى إليه إدخال الأرقام العربية إلى فرنسا. وبعد تقلبات كثيرة في دهاليز السلطة بين الكنيسة وقصور الحكام قاده قدره لينتخب سنة 999م بابا للكنيسة الكاثوليكية في روما.

ويعدّ أوّل بابا من أصل فرنسي. توفي سنة 1003م، ولا يعرف في أعمال جربير مؤلفات وبحوث في اللغة العربية أو علومها، إلا أنه ورغم هذا له الفضل الأوّل في دخول العلوم العربية إلى العالم الأوروبي المسيحي، كما شجع على الترجمة من العربية إلى

[196]) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار الفكر العربي، ط1 .1996 م.ص 125

اللاتينية، ويكفيه فخرا أنه يسّر لأوروبّا بكاملها الالتفات إلى كنوز الحضارة العربية الإسلامية التي ساهمت في قيامها من سباتها.

2-بطرس المحترم (Pierre le Venerable) 1092-1156م[197]: رجل دين ولاهوتي فرنسي، تدرج في سلك الرهبنة منذ نعومة أظفاره حتى صار وهو في الثلاثين من عمره رئيسا لدير كلوني « ABBE DE CLUNY » والى جانب اشتغاله بالعمل الكنسي فقد كانت له علاقات متميزة برجال السياسة والحكم في عصره أتاحت له الاستفادة من مكانة محترمة وذات شأن بينهم، غير أن الذي يهمنا أكثر في هذا الباب ليس علاقاته برجالات عصره، بل هو إسهامه في الدراسات الإستشراقية عن الإسلام والمسلمين، وليس علينا هنا أن نبحث كثيرا فالرجل لم يترك أعمالا كثيرة مؤلفة تشهد له بطول الباع في التأليف بل هو عمل واحد لا غير كان الأول والرائد في مضماره هو "ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية"، وقد باشره وأتمه خلال مقامه في الأندلس بمعاونة من بعض المسيحيين من " مدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية" في طليطلة وانتهى من هذه الترجمة سنة 1143م، وهي تعد " أول ترجمة إلى اللاتينية للقرآن كله من اللغة العربية، واستمرت معتمدة في أوروبا حتى نهاية القرن السابع عشر" توفي بطرس " المحترم" أواخر سنة 1156م بفرنسا.

3-غيّوم بوستل (Guillaume postel) [198]: يختلف العقيقي وعبد الرحمن بدوي (أهم من ترجم للمستشرقين من الباحثين والدارسين العرب) في تاريخ ميلاده فالعقيقي يشير في ترجمته إلى 1505م كتاريخ ميلاد "بوستل"، في حين أن عبد الرحمن بدوي يقول أن ميلاده لا يكون إلا سنة 1510م، وهو الرأي الذي تؤيده المعلومات العامة في

---

[197]) المرجع نفسه . ص 178

[198]) المستشرقون. نجيب العقيقي. دار المعارف. ص 158

الموسوعة الإلكتوونية العالمية " ويكيبيديا" "Wikipédia" حين يشار إلى سنة ميلاده على أنها1510م في مدينة تدعى " دولري" DOLERIE". تميز منذ صغره بقدرة فائقة على تعلم اللغات والتحكم فيها، تعلم في باريس اليونانية والعبرية ،ثم أتبعهما بتعلم الايطالية الاسبانية والبرتغالية، وهو الشيء الذي هيئ له مكانه مقربة من أهل السلطان، إذ نجده يذهب مبعوثا من طرف الملك الفرنسي" فرانسو الأول" François 1er " إلى الشرق لاقتناء مخطوطات ونسخ ثمينة من الكتب العربية خاصة والشرقية عامة وزوّده لأجل ذلك بمال كاف وتوصية عالية المقام، وأتاح له هذا العمل السفر والتجوال بين أنقرة عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك، وباقي الحواضر العربية كدمشق وبيروت والقاهرة، قبل أن يعود إلى باريس أين أصبح أستاذا في " الكوليج دو فرانس Collège de France" سنة 1539م، وأصبح سنة 1551م أستاذا للرياضيات في جامعة باريس وأصبح محط إعجاب الكثيرين من طلاب إلى شخصيات عامة إلى رجال الدولة. بعد ذلك بقليل لبى طلب ملك النمسا آنذاك وانتقل إلى فيينا ليصبح أستاذا للغة العربية واليونانية سنة 1552م، وبعد مسيرة طويلة عاش فيها ذروة المجد و ذروة الإحباط، وبعد سنوات أخيرة تميزت بتقلبات عاصفة أحيانا توفي "غيوم بوستل" سنة 1581م بفرنسا مسقط رأسه من أهم آثاره نجد:

"حروف هجاء اثنتي عشرة لغة" 1538م، "قواعد اللغة العربية" 1539م. "اللغة العربية والفينيقية" 1553م –"عادات وشريعة المسلمين" 1560م، "وصف القاهرة" سنة 1952م، وقد نشر الكتاب الأخير تحت إشراف آنجيلا كوداتزي.

4-هربلو، بارتيليمي D'herbelot (1625-1695م)[199]: مستشرق من الرعيل الأول، ولد في باريس وفيها تعلم اليونانية واللاتينية ودرس الفلسفة وغيرها من العلوم العقلية لكنه لم يترك تعلم اللغات فانكب على تعلم العبرية والسريانية والعربية والفارسية والتركية. ارتحل بعد ذلك إلى روما حيث زار جامعتها ومطبعتها الشرقية ونال رعاية كبراء الدولة هناك حيث عاد محملا بنصيب وافر من المخطوطات العربية القيمة عند عودته إلى وطنه عمل في ديوان وزير مالية فرنسا ثم مترجما من اللغات الشرقية في البلاط، ثم ارتقى حتى ولي كرسي اللغة السريانية في "معهد فرنسا Collège de France " حتى وفاته في الثامن من ديسمبر سنة 1695م. من أهم آثاره التي خلفها نجد" المكتبة الشرقية" وهي " دائرة معارف في بضعة مجلدات مرتبة على حروف المعجم تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وآدابهم...وغيرها".ورغم أن هربلو اشتغل أثناء تدريسه على اللغات الشرقية وغيرها، إلا أنه وكما اتضح لنا وفر كل جهده لمؤلفه السابق الذكر الذي وهبه وقته وماله وجهده حتى أتمه. ولم يتسنى له نشره لأن المنية وافته في الثامن من ديسمبر سنة 1695م. فقام " أنطوان جالان GALLAND" بمهمة نشرة بعد وفاته سنة 1697م في باريس.

5-أنطوان جالان Antoine Galland (1646م – 1715)[200]: ولد في مدينة فرنسية اسمها "رولو-Rollo" في شمال شرق البلاد، عاش يتيم الأب منذ سنه الرابعة، لكن أمه تولته بالرعاية وقامت على تعليمه فبدأ يتعلم اللغات الشرقية والعربية من بينها. ورغم انقطاعه فترة من الزمن إلا أنه عاد إلى طريق الدرس والبحث، فسافر إلى باريس حيث كانت فرصته في صحبة سفير فرنسا في تركيا "دونوانتيل- " De

---

[199])المرجع السابق. ص 159.
[200]) المرجع السابق.ص 160.

Nointel " الذي أصاب معه حظا عظيما في تعلم اللغة التركية والعربية وتحصيل مجموعة مهمة من المخطوطات العربية صار عضوا في " أكاديمية النقوش" سنة 1701م، وسنة 1709م عين أستاذ اللغة العربية في معهد فرنسا الشهير.توفي "جالان" في السابع عشر من فبراير سنة 1715م، له بعض الأبحاث مثل:"كلمات مأثورة عن الشرقيين" (باريس 1694م) وبحوث عن العملات والنقود، لكن ما يخلد اسم "جالان" فعلا في سجل المستشرقين خاصة، هي ترجمته لكتاب " ألف ليلة وليلة" والتي تعد الترجمة الأولى لهذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية وسبب معرفة أوروبا كلها بهذه الحكايا المدهشة.بدأ جالان هذه الترجمة في حياته منذ سنة 1704م واستمرت في الظهور حتى بعد وفاته لغاية سنة 1717م.

6-سلفستردي ساسي Antoine Isaac Silvestre de Sacy (1758-1838م)[201]: شيخ المستشرقين، رائد الإستشراق الفرنسي ورافع رايته "أبو الإستشراق الحديث ومنشئ علم الإستشراق في أوروبا" ، كلها ألقاب تحيل إلى شخصية البارون دي ساسي الذي يحتل مكانة لم يبلغها مستشرق فرنسي لا قبله ولا بعده.ولد دي ساسي في باريس في 1758/12/21م لأب كان محرر عقود (كاتب عدل)،و يسوق بعض الدارسين لتاريخ الإستشراق أن سبب تعلق واتجاه دي ساسي إلى الدراسات العربية والشرقية عامة هو شخص اسمه جورج فرانسوا بيرتيريو،و هو الذي يظن أنه أخذ بيد دي ساسي لتعلم العبرية والعربية و لم يكن دي ساسي متجها للغات الشرقية فقط، لكنه إلى جانب ذلك أدرك حاجته لتعلم اللغات الأوروبية مثل الألمانية والايطالية والانجليزية والأسبانية التي أخذ في دراستها والتمكن منها لزيادة ثقافته من جهة، ومن جهة أخرى

[201]) المرجع السابق.ص 162.

لزيادة فرصته في الحصول على عمل محترم يوفر له حياة كريمة لائقة به وبطموحاته. سنة 1778م تم تعيينه من طرف الملك واحدا من ثمانية أعضاء ضمن جمعية لنشر كنوز المخطوطات الشرقية لمكتبة باريس الوطنية،ولم يتوقف الأمر هنا حيث عين بعد ذلك بثلاث سنوات سنة 1781 مستشارا في ديوان النقود الملكي، وفي سنة 1785م عين عضوا حرّا في مجمع النقوش والآداب ثم حافظا للنقود ومفوضا في أمرها سنة 1791م. غير أن الثورة الفرنسية المندلعة سنة 1796 تسببت في توقف نشاطه، وانزوى في أحد ضواحي باريس بين أفراد عائلته و مع بحوثه، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى خمود الثورة حيث ومباشرة بعد تأسيس وإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795م التي أنشئت بقرار من مجلس الثورة-أو الجمعية الثورية- أنشئ ضمن ما أنشئ كرسي للغة العربية، وعين دي ساسي الذي أصبح سلفستر ساسي فقط، أستاذا للعربية فيها مع بداية سنة 1796م. ثم انتخب عضوا في الهيئة التشريعية لمقاطعة "السين la seine" سنة 1808م، ولقربه من مراكز ضع القرار في زمنه والمكانة التي كان يتمتع بها، منحه نابليون لقب "البارون" Baron سنة 1814م ضمن عديد من الشخصيات الأخرى، استمر نشاط "دي ساسي"-الذي استعاد درجة النبالة في زمن بابليون- ولم يتوقف قط، فمن التدريس إلى البحث والتحليل والمشاركة في الندوات، هذا إضافة إلى المناصب الإدارية التي كان يتقلدها بين الحين والآخر، لكنه رغم هذا وذاك لم يكن يتكاسل أو يتعذر عن أي عمل فكري يعرض عليه والدليل أنه وعلى الرغم من كافة انشغالاته كان في طليعة محرري " صحيفة العلماء le journal des savants" حين عادت إلى الظهور سنة 1816م وفي سنة 1922 أنشأ بمعية تلاميذه ومريديه " الجمعية الآسيوية Journal Asiatique" التي لا تزال من أهم المجلات الإستشراقية

قاطبة.صار دي ساسي مديرا " للكوليج دو فرانس" سنة 1823م.توفي " سلفستردي ساسي" في 14 فبراير سنة 1838م بعد حياة حافلة بالعطاء المتواصل والنشاط الدءوب.

إن الحديث عن دي ساسي وحياته يطول ويطول، وكذلك الحديث عن آثاره ومؤلفاته يطول بطول مشواره الحافل الذي لم يقتصر على المجال العلمي ، وإنما تعداه إلى المجال السياسي ومراكز اتخاذا القرار.

ظل البارون دي ساسي طول حياته – ورغم كثرة انشغالاته خاصة في أواخر حياته–على صلة وثيقة بالعلم ومجالاته، فمن دروسه إلى البحث والتحليل والتأليف، إلى إلقاء المحاضرات والمشاركة في الجمعيات والمؤتمرات. تآليف دي ساسي تنوعت موضوعاتها تنوع اهتماماته، فلم يقتصر على مجال مفرد بعينه، وفي الأسطر التالية سنوجز بعض أعماله المهمة، وهي أعمال تراوحت بين اللغوي والتاريخي والجغرافي مما يبين بصفة جلية مدى موسوعية هذا الرجل وتنوع مجالات اهتمامه، فنجدله مثلا كتاب "الأنيس المفيد للطالب المستفيد" وهو عبارة عن مختارات من أدب العرب وأشعارهم (1806م 1826م)، ترجمة " البردة للإمام البوصيري" (1806م) تلخيص كتاب الخطط للمقريزي (1797م) وكتاب "التحفة السنية في علم العربية" في جزأين، ترجمة "تاريخ الساسانيين" لميرخوند.

كما نجده نشر بمعاونة ديلابورت " مباحث جغرافية عربية من إفريقيا" 1821م)، وله "دراسات عن أصل ألف ليلة وليلة" (المجلة الآسيوية 1827م-1828م)، كما كان لدي ساسي وصف لبعض المخطوطات المهمة مثل:"البرق اليماني في الفتح العثماني" للشيخ المكي، و "الكواكب السائرة" للشيخ أبي السرور.كما نجد له بحوثا ودراسات

منتشرة في صفحات المجلة الأسيوية التي كان من أهم مؤسسيها والعاملين بها، وله فيها: " حول النقود الإسلامية" (1823م)، وكذا "دراسة الشعر العربي" (1826م).

هذه كانت بعض اللمحات عن أعمال سيلفستردي ساسي الذي عاش في خدمة علمه والتأسيس له مع بذل كل ما يستطيع للوصول به إلى أهدافه وغاياته المنشودة، وإن كان لنا أن نبدي رأينا في الرجل، فإن أهم ما يثير الإعجاب به هو ذلك النهم غير العادي لحب المعرفة وذلك النشاط الدءوب من غير كلل أو ملل والذي دفع به ليصبح بحق كما قال أبو القاسم سعد الله "أب الإستشراق الأوروبي الحديث".

7- ***إرنست رينان*** (1823م-1892م)[202] Ernest Renan: المعروف فيلسوفا أكثر منه مستشرقا متخصصا.ولد في مدينة تريجيه من مقاطعة بريتانيا LA BRETAGNE.كانت نشأته في المدارس اللاهوتية التي برز فيها . وفيها كان احتكاكه الأول باللغات والثقافات الشرقية . فنبغ في اللغات الشرقية نبوغا بوأه أن يكون من ثقاتها و معدوديها.رحل إلى المشرق العربي وكان استقراره بلبنان، كان رينان مهتما بالعقائد الإسلامية وهي صيغة مشتركة بين أغلبية المستشرقين تقريبا.أنتخب رينان عضوا في المجمع للغوي الفرنسي سنة 1878م توفي سنة 1892م. يعتبر رينان من أهم المفكرين الإستشراقيين الفرنسيين وليس أدل على مدى أهمية و تميز ارنست رينان ممّا قاله، إدوارد سعيد في كتابه " الإستشراق" في الفصل المخصص "لسلفستر دي ساسي ورينان" وهو ما مفاده أنه ورغم أن حضور دي ساسي العلمي والفكري كان طاغيا في زمنه لدرجة أن كل عمالقة الإستشراق من بعده يدينون له ويظلون سائرين على منهجه وأسلوبه،إلا أن رينان في حد ذاته كان يمثل نهجا خاصّا وفكرا مستقلا – حتى وإن

---

[202])نجيب العقيقي .المستشرقون. ص 191

كانت له اتفاقاته مع دي ساسي – وهو أمر يثير إعجاب أدواره سعيد ويستجلب ثناءه وذلك التميز هو الذي ضمن حسب البعض بعض التوازن من خلال الاختلاف الذي يخلق التنوع الثقافي والفكري.

تنوعت آثار ومساهمات ارنست رينان بين الترجمات والتعاليق والتآليف التاريخية ومن أهمها نجد كتاب " ابن رشد والرشديين" (1852-1869م)، "تاريخ اللغات السامية" (1853-1862م)،وكذا كتاب " تاريخ الأديان " (1857م) وكتاب " تقدم الآداب الشرقية" (1866م)، كما نجد له مساهمات من خلال مقالات في المجلة الآسيوية أهمها:"طابع الشعوب السامية" (1859م).توفي إرنست رينان عن عمر يناهز 69 عاما سنة 1892م.

8-**لويس ماسينيون** (1883م-1962م) Louis Massignon [203] : ولد في نوجان على المان، إحدى الضواحي الباريسية، كان لوالده-المعروف في الوسط الفني آنذاك- فضل كبير في توجهه نحو المجال الإستشراقي إذ هو الذي بفضله كان لقاؤه بشخصية مثل الأب ميشال دي فوكو وغيره ممن كان لهم أثر في محبته للمجال السالف الذكر.

تحصل لويس الشاب على الشهادة التوجيهية – ما يعادل الثانوية – في فرنسا سنة 1901م، ثم ليسانس الآداب من جامعة الجزائر سنة 1902م، كما تحصل على دبلوم الدراسات العليا عن بحثه الذي قام به عن المغرب سنة 1904م،قبل أن يكون على موعد مع حدث هام سيكون له أثره في تحديد مستقبله وتوسيع آفاقه الشخصية والعلمية، و هو انعقاد المؤتمر الرابع عشر المستشرقين الذي أقيم في الجزائر سنة 1905م،

---

[203])المرجع السابق. ص 263

وهناك كان تعرفه على أعلام المستشرقين المعروفين والمعدودين مثل جولد زيهر،و لي شاتلييهن و سنوك هرجرونيه، هؤلاء الذين سيصبحون أحب وأقرب أساتذته إليه.

بعد سنة 1906م وحصوله على الدبلوم (الإجازة)في اللغة العربية فصحى وعامية، باشر حياته العملية اثر التحاقه بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وهو ما جعله يتعامل مع الآثار الفرعونية من جهة، والآثار الإسلامية خاصة من جهة ثانية. جال لويس ماسينيون في الوطن العربي كثيرا – وهو دأب المستشرقين عموما- خاصة في المشرق منه، فزار بغداد والقاهرة ودمشق وبيروت والمغرب والجزائر وتونس وغيرها من الدول والمدن الأخرى لأسباب متعددة وإن كانت في أغلبها معرفية بحثية.

حياة ماسينيون العلمية كانت حافلة فبعد تعيينه أو التحاقه بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة 1906م، نجده وبعد سنوات من ذلك ينتدب أستاذا لتاريخ الفلسفة بالجامعة المصرية (1912م-1913م)، وبعد طوافه بين الجزائر والحجاز والقدس الشريف، رجع إلى باريس وعيّن معيدا في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا الشهير Collège de France – سنة (1915م-1916). سنة 1922م كانت سنة حصوله على الدكتوراه عن رسالته الموسومة "آلام الحلاج"،و قبل ذلك بقليل كان قد تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي (1919م) ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محل الأولى سنة (1927م). ومنذ سنة 1926م عمل أستاذ كرسي في معهد فرنسا ثم مديرا للدراسات في المدرسة العملية العليا حتى تقاعده سنة 1954م.أنتخب ماسينيون في عدة مجامع علمية نظرا لغزارة علمة وموسوعية معرفته، فكان عضوا في الجمعية الأسيوية، وفي المجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي العربي في دمشق.

كان ماسينيون من أنشط المستشرقين في عصره وأعمقهم تجربة وأكثرهم بحثا وتأليفا خاصة في الشؤون الإسلامية والإسلام بصفة عامة والذي عدّ -أى ماسينيون- مرجعا له في الغرب. وهذا ما يفسر مدى كثرة آثاره وتنوعها، والتي تنوعت وزادت على 650 أثرا بين مؤلف ومحقق ومترجم ومقال..إلخ.

وفي التالي موجز لبعض آثاره المهمة: جغرافية المغرب (1906م)، الأولياء المسلمون المدفونون في بغداد (1908م).آلام الحلاج ومذهب الحلاجية (1909م)- الحلاج والشيطان في نظر الزيدية (1911م)- تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية.-والكنيسة الكاثوليكية والإسلام (1915م) ،كما نجد له مقالات في مجلة العالم الإسلامي: دراسات عن مخطوطات مكتبات بغداد (1909م).تاريخ العقائد الفلسفية العربية (1912م)- أصول عقيدة الوهابية، وفهرس بمصنفات مؤسسها (1918م-1919م)- العناصر العربية وأسرار الإستشراق (1924م). وغيرها كثير جدّا لا سبيل لحصره ولكنه جزء يسير يثبت التنوع والوفرة الذين تميز بهما إنتاج لويس ماسينيون الفكري.توفي في الخامس من أبريل سنة 1962م.

9-***جاك بيرك***: Jacques Berques (1910م-1995م)[204]: فرنسي مولود بالجزائر بمنطقة فرندة سنة 1910م، كانت نشأته في فرنسا حيث زاول دراسته هناك حتى تخرجه.

شغل جاك بيرك عدة مناصب في حياته سواء العلمية أو الإدارية، إذ نجده يعين مديرا لقسم للبحوث الفنية والتجريبية في معهد في مصر (1953م – 1954م)، ثم بعد ذلك مشرفا على مركز للدراسات العربية في لبنان (1955م) قبل أن تكون عودته لفرنسا

[204]) نجيب العقيقي .المستشرقون، ص 336

حيث صار أستاذ كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، ثم مديرا لمعهد الدراسات العليا (Collège des études Supérieures) .توفي بيرك في السابع والعشرين من جوان صيف 1995م في منطقة "سان جويليان أون بورن-Saint Julien en borne".

من أهم ما خلف جاك بيرك نجد: دراسات في التاريخ الريفي المغربي (1938م). وثائق عن تاريخ المغرب الإجتماعي (1948م). النظم الاجتماعية في الأطلس الأعلى (1955م) – توقعات للإستشراق الحديث (1957م)،كما نجد له تآليف أخرى مثل: الإسلام من الأمس إلى الغد (1965م)، مشاكل الثقافة العربية المعاصرة (1965م) والمجتمعات والأدب العربي المعاصر (1964م).الإسلام والإشتراكية (1967م).وأخيرا وليس آخرا بعض البحوث مثل: نحو ثقافة عربية معاصرة (1972م) واللغة العربية من الإنسان إلى التاريخ (1967م). وهي-أي كل هذه الآثار- متنوعة بين كتب مفردة ومقالات موزعة في صفحات المجلات المتخصصة، وبحوث ومحاضرات ألقيت في ندوات ودروس تم طبعها بعد ذلك.

10-**شارل بيلا** Charles Pellat (1914م-1992م):[205] ولد في الجزائر وبالتحديد في ولاية سوق أهراس سنة 1914م، وعاش سني طفولته الأولى هناك قبل أن يستقر مع عائلته بالمغرب سنة 1924م أين تلقى دروسه الثانوية الأولى بالدار البيضاء، حصل على البكالوريا الجزء الأول سنة 1931م،ثم الثاني رياضيات (1932م). عاد إلى فرنسا وهناك حاز ليسانس اللغة العربية من جامعة بوردو Bordeaux (1933م - 1935م) ثم عاد إلى المغرب في ذات السنة (1935م) ليحصل على شهادة العربية من

[205]) المرجع السابق، ص 353.

معهد الدراسات المغربية العليا، ثم شهادة لغة البربر سنة 1938م من جامعة الجزائر، ثم أخيرا إجازة الأستاذية بالعربية، وشهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس (1946م-1950م).

كان شارل بيلا على غرار كبار المستشرقين ذا همة عالية ونشاط بالغ في عمله وبحثه، عمل أستاذا في مدينة مراكش المغربية (1934م-1935م).وأستاذا في مدرسة اللغات الشرقية الشهيرة (1951م-1956م)، ثم مديرا لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس- السوربون- Paris Sorbonne (1972م). وقد قاده علمه ومكانته المعرفية المميزة إلى العديد من المناطق في العالم مثل السنغال والمغرب ولبنان وسوريا والعراق والهند وباكستان لإلقاء دروس أو المشاركة في مؤتمرات وندوات متنوعة.

حينما نذكر شارل بيلا فإننا بطريقه أو بأخرى نذكر الجاحظ الذي كان محط اهتمام مستشرقنا وإن لم يستأثر به كله، إلا أنه حظي بمكانة خاصة في رحلته العلمية حتى عدّ بيلاّ" مترجم وباحث الجاحظ الأول في فرنسا خاصة و في الغرب عموما. توفي سنة 1992م في فرنسا بعد حياة حافلة جدّا بالبحث والدرس والتأليف، وليس أدل على ذلك من كم الآثار العظيم الذي خلفه والذي يمثل بحق إرثا إستشراقيا مهما.

نجد من أهم آثاره ما ألفه حول الجاحظ خاصة ما نال به شهادة الدكتوراه الدولة: البيئة البصرية ونشأة الجاحظ (باريس 1953م).الإمامة في عقيدة الجاحظ (1961م)- أصالة الجاحظ (1963م). الجاحظ والشعوب المتحضرة والمعتقدات الدينية (1967م) وغيرها عميم حول الجاحظ وفكره وريادته ومكانته الاجتماعية والفكرية،غير أننا زيادة على كل هذا نجده- أي شارل بيلا- قد اهتم بموضوعات أخرى عامة وخاصة نذكر

بعضها في التالي: اللغة العربية وحضارتها (1952م)،مراحل انحطاط الثقافة في بلدان الشرق العربي (1957م)-الموسوعات في العالم العربي (1966م)-الإسلام و التاريخ (1971م).كما نجد: اسبانيا المسلمة في مصنفات المسعودي (1964م)-أصل الإسلام في اسبانيا وتطوره (1962م)- الأدب العربي و مشاكل الأدب المقارن (1967م) وأسطورة شهرزاد في الأدب المعاصر (1972م) إلى غيرها الكثير من المؤلفات المتعددة المواضيع والبحوث والمقالات والدروس التي شكلت ولا زالت زادا معرفيّا هامّا سواءا للمؤيدين أو للمعارضين.

ونحن وإن ذكرنا هذه القلة من أعلام الإستشراق الفرنسي إلا أننا يجب أن نذكر أنها لا تمثل إلا نسبة قليلة جدّا من هذه الفئة، وليس أدل على ذلك من وجود أكثر من خمسين اسما لمستشرقين لا معين في صفحات " موسوعة المستشرقين" لعبد الرحمن بدوي، وأكثر بكثير من هذا العدد في صفحات كتاب نجيب العقيقي المهم جدّا من خلال إحاطته الواسعة حيث يذكر أكثر من ثلاثمائة من المستشرقين الفرنسيين اللامعين منهم أوأقل من ذلك،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة الإستشراق الفرنسي خاصة في إطار الإستشراق عموما. وليس ذكرنا في هذا المقام لهذه الثلة القليلة من المستشرقين الفرنسيين إلا لإعطاء فكرة عنهم وعن مساهماتهم، وكذا لأن المقام ليس مقام ترجمة في لبّه وإنما هو مقام يعطي لمحات موجزة قد تحفز القارئ على النبش والتعمق والتوسع في هذا الموروث الممتع والحساس في آن.

الـــفـــصـــل الـــثـــالـــــث

عبـــــور النص الأدبي العربي إلى اللغة الفرنسية

– بين إرث الإستشراق وتحديات العولمة–

ركزنا حديثنا في مدخل هذه المذكرة على موضوع الترجمة عامة، ودورها في نقل المعارف والتثاقف وتلاقح الحضارات وتقاسم العلوم بين مختلف المجموعات البشرية، وقد بيننا جوهرية الدور الذي لعبته الترجمة على مر العصور والحقب مع التعريج على أهميتها ثم عمل المترجمين وخصائصه وصعوباته العامة.

وفي هذا الفصل، إن شاء اله سنحاول التركيز بالقدر الكافي حول نوع معين من الترجمة، وهو الترجمة الأدبية، وسنتطرق لأغلب نواحي هذه الترجمة وما يثار حولها من جدل يدور حول إمكانيتها واستحالتها،بين أمانتها وخيانتها، بين ما هو مرجوّ منها وما هو ممكن إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه من خلال هذه الصفحات.

أ-الترجمة الأدبية بين الإمكان و الإستحالة:

إن كل نوع من أنواع الترجمة له خصائص ينفرد بها وبخاصة إذا تعلق الأمر بالفروق الموجودة بين الترجمة العلمية والأدبية،فإذا كانت النصوص العلمية تتطلب الدقة في ا ختيار المصطلح، والإلمام التام بالموضوع العلمي محط الترجمة، فإن النص الأدبي يتطلب فيما يتطلب سعة الخيال ودقة التعبير وحسن التحكم في اللغة، و الإلمام بجناسها واشتقاقها واختلاف تراكيبها وبنائها، ومن ثم فإننا يجب أن نفهم أن عملية ترجمة النص الأدبي ليست عملية نقل آلي من لغة إلى أخرى، والمترجم ليس ناقل أفكار غيره أومشاعره فقط، بل الترجمة الأدبية هي فوق هذا وذاك عملية إبداعية، والمترجم مبدع كباقي المبدعين، بل هو المبدع الثاني للنص وهو الذي يضفي عليه روحه الثانية التي تجيز له الحياة الجديدة في لغته التي ينقل إليها. وعموما ففي كل ما يترجم من نصوص "مبدع في لغة ثانية و من أجل ذلك لا يكون لزاما عليه أن ينقل النص الأصلي وينسخه"[206] بل

---

[206]) عبد السلام بن عبد العالي. في الترجمة، سلسلة شراع، العدد 40، ص 34

مهمة المترجم الأدبي هي أن "يسمح للنص بأن ينقل من لغة إلى أخرى، من ثقافة إلى أخرى وأن يمكنه من أن يبقى ويدوم، فلا معنى للنقل إن لم يكن انتقالا، ولا للبقاء إن لم يكن تحولا وتجددا، ولا للتجديد أن لم يكن نموا وتكاثرا"[207].وعملية الإبداع هذه تبدأ من حين اختيار النص الأدبي موضوع الترجمة، فعملية الاختيار ليست عبثية ولا اعتباطية، إذ ليست كل النصوص قابلة للترجمة كما يقول بنيامين فالثر[208]، وكل مترجم يملك معطيات خاصة به في تعامله مع النص، والنص مثلما يخاطب مشاعر القارئ العادي فإنه يخاطب مشاعر المترجم وحواسه الإبداعية باعتباره قارئا قبل أن يكون مترجما، يحرك أفكاره ويدفعه للعمل والحوار، فالترجمة في بعض جوانبها عملية محاورة بين النص الأدبي والمترجم، وككل حوار قد يؤدي الأمر إلى توافق وانسجام، كما قد يؤدي إلى اختلال وافتراق لسبب أو لآخر وعامة فالترجمة تكون في الغالب تلبية لدافعين اثنين: جمعي وآخر ذاتي. إذا كان الدافع جمعيا فهو بطبيعته متضمن لكل ما هو ذاتي، أما إذا كان ذاتيا، فالترجمة تصبح ذات صبغة حميمة تستجيب بشكل أحادي لرغبات أو متطلبات المترجم، و في كلتا الحالتين يبقى العنصر الإبداعي واردا.ولإنجاح الترجمة والمحافظة على جوهر النص ومعطياته ينبغي فهمه واستيعابه لأن النص الأدبي مختلف كليا عن غيره من النصوص، فكل نص أدبي يتضمن رؤية خاصة للحياة هي رؤية الكاتب الخاصة لها، كما أنه إيماء وإيحاء و فيه الشكل يصبح غاية لا تتجزأ عن المضمون،ثم إن النص الأدبي يحتمل عدة قراءات لتعدد معانيه ومدى عمقها وكيفية تأثيرها على خيال القارئ ، وهي عملية ليست سهلة دائما، خاصة إذا كان فيها ضروب من المجاز والكناية والاستعارة، ولهذا

---

[207]) عبد السلام بن عبد العالي. في الترجمة، سلسلة شراع ، ص 35

[208])مجلة فكر وفن، ، المترجم ومهمته، فالتربنيامين، عدد 79 2004، ص 20

فترجمة نص أدبي لا تعني فقط البحث عن المقابل اللفظي في المخزون الثقافي الذاتي أو في القواميس، ولكن الأمر يتعلق بعمق الإدراك والفهم لمقتضيات النص، وبعملية الغوص في متاهات التعبير واستغلال القدرة على التخيل،وذلك هو الإبداع الحقيقي والعبقرية في الترجمة. كما أن عملية الربط بين الجمل والفقرات في الترجمة في كل اللغات تكتسي أهمية "بالغة". ففي الترجمة يصبح الربط مفيدا في المحافظة على المعنى وإيصاله من جهة والمحافظة على روح النصّ كما أراده مؤلفه الأصلي من جهة ثانية، ولعل الربط لا يكفي وحده إذا علمنا أن المترجم مطالب بفصاحة التعبير، وبلاغة التركيب، وحسن اختيار اللفظ الملائم، مع مراعاة دلالة الألفاظ في اللغة المترجم إليها، والحرص على الإبانة والوضوح.والترجمة الأدبية كما هو معروف لا تهتم بالنثر فقط، بل قد نجد النثر والشعر والمسرح وغيرها من الأجناس الأدبية المعروفة.

وترجمة القصيدة تكاد تكون أعظم الترجمات صعوبة إن لم نقل أنها مستحيلة عند أغلب المختصين – ونحن نقصد هنا ترجمة القصيدة العربية خاصة الشعر الموزون المقفى- و في ذلك إشكال كبير تلخصه الدكتورة سامية أسعد في مجموعة الأسئلة التالية:[209]هل نترجم النص ترجمة حرفية، أي ننقل كلماته وجملة ليس إلاّ؟وهل ننقلها بنفس التركيب والترتيب في النص الأصلي أم لا؟هل نترجم الشعر الموزون المقفى إلى شعر موزون مقفى؟ما الذي يمكننا أن نترجمه: المعنى، الصور، أم الإيقاع، أم الموسيقي؟هل ننقل النص نقلا أمينا أم نخونه بطريقة ما؟.وتجيبنا بعد هذه التساؤلات باختصار قائلة: " ومترجم

[209])عالم الفكر.د.سامية أسعد.في الترجمة الأدبية. دار الفكر العربي، العدد 4.سنة1989. ص.34

القصيدة يمكن أن يترجمها نثرا أو شعرا، بشرط أن يحتفظ بجوهرها، أي بالعناصر المكونة لشاعريتها، وألاّ يترجمها كما لو كانت نثرا"[210].

و في ذلك كله إبداع لا يمكن تجاهله أو إغفاله. غير أن هذا الإبداع لا يظهر ولا يعمّ أو يحتد أواره إلا بحركة دائبة مستمرة تجعل من الفعل الترجمي ظاهرة حقيقية واقعية ممتدة في المكان والزمان، وهذه المسألة تكاد تغيب في الوطن العربي قياسا بما الحال عليه في العالم الغربي. وقد تنبه الأستاذ محمد عبد الغني حسن منذ ستينيات القرن الماضي إلى هذا في كتابه (الترجمة في الأدب العربي) إذ قال:" لعل من أغرب الأمور أن فن الترجمة لم يعالج في الإنتاج العربي بكتاب واحد، على كثرة ما عولجت به فنون أدبية أخرى وأن ما كتب عن الترجمة والنقل من حيث الفن و الشروط وأسلوب النقل لم يعد أن يكون إشارات وآراء موجزة هي أقرب إلى اللمحة الخاطفة منها إلى الدراسة المعمقة"[211]. وهو رأي له ما يؤيده بالنظر إلى عصره الذي ظهر فيه، على أنه من المفيد والعادل القول أن موضوع الترجمة قد بدأ منذ أمد غير بعيد يأخذ حيزا من التفكير و التخطيط والمعالجة يبشر بخير كثير إن دامت استمراريته على المدى المتوسط والبعيد، لكنا ورغم هذا التفاؤل لابد أن نقرّ بأن الفعل الترجمي في الوطن العربي الآن لا يزال يمتاز بالبطء والضآلة، وهو لا يلبي كل حاجيات المثقف العربي، خاصة أن الترجمة في الغالب تعتمد على لغتين اثنتين هما الفرنسية والانجليزية إلى اللغة العربية أو منها إليهما، وهذا يعود في الأغلب الأعم إلى الإرث الاستعماري الفرنسي والإنجليزي: الفرنسي في شمال إفريقيا خاصة، والانجليزي في المشرق العربي.

---

[210]) عالم الفكر.د.سامية أسعد.في الترجمة الأدبية ، ص 36.

[211]) فن الترجمة في الأدب العربي، محمد عبد الغني حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دط سنة 1966، ص 03

وبالعودة إلى الترجمة الأدبية في خصوصياتها لا بدلنا من طرح عض التساؤلات التي كانت ولازالت ملحة في هذا الموضوع، خاصة وأننا لسنا الطرف الوحيد في هذه المسألة، فنحن لا نترجم لأنفسنا أعمالنا الأدبية بل للآخر بكل ما تحمله لفظة الآخر من معاني وإسقاطات وصور .ومن أهم هذه التساؤلات الهامة التي لها الصلة العظمى بعملنا: هل يمكن اعتبار كل مترجم من اللغة العربية مستشرقا أم لا؟ وهو السؤال الذي سنبدأ منه.

لقد ارتبط الإستشراق دائما في علاقته بكل ما هو عربي إسلامي بالفعل الترجمي، قد يقول قائل إن الإستشراق القديم قد انتهى وزالت أيامه وبالتالي فإن سؤالنا يفقد ماهيته لكننا و في هذه النقطة بالذات نعتقد جازمين بالرأي القائل بأن الإستشراق لم يزل ولن يزول حتى وإن غير جلدته وتعددت وجوه وجوده وتمثلاته في الحياة المعاصرة، فالتسميات تغيرت فعلا، اذ صار من كان يعرف بالمستشرق قديما يعرف الآن بالخبير أو المتخصص في أي ميدان يمت للعالم العربي الإسلامي بصلة بما في ذلك الجانب الثقافي العام والأدبي منه خاصة. والمترجم بما أنه خبير باللغة العربية وظواهرها فإنه يمكن أن يعتبر مستشرقا دون أن يكون في الرأي مغالاة أو سذاجة، والعكس غير صحيح طبعا، وما يدعم وأينا هنا هو طبيعة المترجمين الأدبيين المعروفين عالميا للأدب العربي مثل روجر آلان(roger allen)، مارسيل بوا(marcel bois)، هارتموت فندريش(hartmut fendrich)، أو دنيس جونسون ديفيس (denis johnson devis) وريشار جاكمون[212] (richard jaquemond)، ونحن إذ نتكلم عن

---

1 - روجر آلان: أستاذ الأدب العرب في جامعة بنسلفانيا -2-مارسيل بوا: مستعرب فرنسي متخصص في الأدب الجزائري،3-هارتموت فندريش: مستعرب ألماني.4-دنيس جونسون ديفير: شيخ المستعربين والمترجمين المعاصرين للأدب العربي إلى اللغة الانجليزية.

طبيعة هؤلاء المتخصصين نقصد مدى اطلاعهم لا على الأدب العربي الحديث والمعاصر فقط بل على بيئاته الحية الحسية التي نشأ فيها ونشأ فيها المؤلفون أنفسهم خاصة أنهم تربطهم في أغلبهم علاقات صداقة بمن يترجمون لهم مثل علاقة جونسون ديفيز بنجيب محفوظ ومصر عامة[213] ، أو كعلاقة مارسيل بوا بأشهر الروائيين الجزائريين المعربين كعبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار وغيرهم. ومن خلال هذا نرى أنهم لا يتعاملون فقط مع اللغة والتراكيب اللغوية بل مع البيئة التي نشأ فيها هذا الأدب بكل ما تحمله من جماليات أو تناقضات،ما يجعل المترجم الأدبي من هذه الطينة مستشرقا من نوع جديد وخاص. ثم نجد من أهم التساؤلات أيضا تساؤلا تقليديا: لماذا نترجم أدبنا؟ . وهو تساؤل مهم جدّا للحيلولة دون الوقوع في الاعتباطية والفراغ ،و للاجابة عن هذا التساؤل نقول أنه بالنظر إلى التراكمات التي شكلت صورة الواقع العربي في مجتمعه وأفكاره و معتقداته وسلوكياته والمرتكزات الفكرية والثقافية التي تشكل جوهر هذا المجتمع وحقيقته، فإن المثقف العربي عامة كان ولا يزال يحمل هم تصحيح وتوضيح هذه الصورة التي يراها في معظمها مشوهة وضبابية وبعيدة جدّا عن المنطق والحقيقة، بل هي تخضع لرؤية مسبقة مكرسة منذ قرون عبر أجيال من المثقفين والمفكرين الذين بدورهم نقلوها إلى أفكار مجتمعاتهم التي تبنتها باعتبارها حقائق وبديهيات ثابتة لا تقبل النقاش في أصولها وصحتها، وهو الأمر الذي يدفع أي فرد غيور على أمته إلى أن يعمل في إطار اختصاصه على تصحيح الصورة الإفتراضية الإكزوتيكية[214]،وإبدالها بالحقيقة التي لابد أن تأخذ مكانتها في تصحيح العلاقة العامة بين الثقافة العربية ونظيرتها الغربية عامة والأوربية

2- ريشار جاكمون:مستعرب فرنسي متخصص في الأدب المصري، نائب رئيس الجمعية المترجمين الأدبيين الفرنسيين.

[213]) الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، ، ص 92.

[214]) ارتباكات الهوية. نورة فرج، المركز الثقافي العربي. ط1 ،2007. ص 45

خاصة- لقربهما ووثاقة صلتهما ببعضهما تاريخيا وفكريا – ولا نجد خيرا من النص الأدبي شاهدا وموثقا لهذه الصورة التي نود إرسالها وإحلالها مكانها في ذهن المتلقي الغربي -الغالب- فكما كان الشعر ديوان العرب قديما والحافظ لشخصيتهم وتاريخهم ومعتقداتهم وأفكارهم،فالعصر الحاضر يكرس النص الأدبي الروائي خاصة وريثا شرعيا للقصيدة في التعبير عن روح الأمة و واقعها وكذا الناطق الرسمي بطموحاتها وتطلعاتها المتجددة[215]. ورغم أن عملية الترجمة في كل نواحيها ليست عملية بريئة ولا سهلة إلا أنها تسمح للنص الأدبي بالعبور إلى الضفة الأخرى على حد تعبير "هارتموت فندريش"[216]،وهذا العبور كفيل بالحد من سوء الفهم عند الغرب مثلما يصرح بذلك الروائي السوداني الراحل الطيب صالح الذي يؤكد أن نشر الأدب العربي بصورة أكبر في الخارج من شأنه أن يقلل من الجهل التام بالمنطقة وبواقعها المختلف الجوانب[217]. ويضيف قائلا:" وصلت الرواية العربية إلى مستوى رفيع جدّا يمكن مقارنته بأي مستوى آخر في أي مكان بالعالم، وكون أنه ليس معترفا به في الخارج هي إما مسألة تتعلق بالمعايير أونقص في الحماس للأدب الأجنبي"[218].

وبالعودة إلى تساؤلنا الثاني فإننا يجب ألا نركز فقط على محاولة تغيير هذه الصورة المغلوطة التي لم تكن من وضعنا نحن بل فرضت علينا، بل يجب من جانب آخر ألا نغفل أننا من خلال ترجمة رصيدنا الأدبي لابد أن نسعى لتسويق نظرتنا للحياة وقناعاتنا الخاصة بها، كما نسعى أيضا لإثبات أحقيتنا بحجز مكان في العالم المعاصر والمشاركة

---

[215]) المرجع السابق،. ص 15.

[216]) عبور النص إلى الضفة الأخرى، هارتموت فندريش، مجله فكروفن. عدد79، 2004، ص 29.

[217]) الاستشراق والوعي السالب، خيري منصور، مكتبة مدبولي. ط 2. 2005 .ص 73.

[218]) المرجع نفسه. ص 74.

الفعالة في صنع مصيره وليس الوقوف وقوف المتفرج الذي لا يمثل أي إضافة فعلية في المشهد بل يظل جزءا من الديكور العام ليس إلا.

إن ترجمتنا لنصنا الأدبي يثبت بما لا يدع مجالا للشك أننا أمة حية لها دور في عصرها يجب أن يكون دورا إيجابيا يساهم في بلورة الأفكار والخطوط العظمى التي تميز الحركية التاريخية والفكرية للعالم الذي تعيش فيه،وهذا في ظل التراجع المخيف الذي يميز دورها في الحركة العلمية والتقنية المنتجة التي يتحكم بها الغرب وقلة من الدول الأخرى، وهو ما يدفعنا للقول بأن الجبهة الثقافية لا تزال – بمفردها- القلعة الحصينة التي يعتصم بها أغلب أبناء الأمة العربية في ظل تداعي الجبهات الأخرى التي صارت لا تمثل إلا استمرارية لثقافة الاستهلاك اللامنتهي في كل المجالات خاصة الاقتصادية والسياسية منها.

وبعد هذا يحق، بل يجب علينا طرح التساؤل التالي المهم جدّا وهو: كيف يتم اختيار النصوص محط الترجمة؟ ما هي معايير هذا الاختيار؟ وما مدى جديته وفاعليته بالنظر إلى أهدافه وغاياته المعلنة وغير المعلنة وهنا لا بد لنا أن نسلم الكلمة لأهل الاختصاص لتعرف منهم على ألسنتهم ما يروي غليلنا ويوضح لنا ما نرجو إيضاحه.

ب-آراء إستشراقية:

تقول روديكا فرانيسكو(rodika franescu) في معرض حديثها عن الأدب العربي وترجمته في رومانيا والذي تؤكد في كلامها أنه يحتل موقعا متأخرا لدى الناشرين في بلدها الذين يركزون على الأدب الغربي تمهيدا للانضمام للاتحاد الأوروبي.

وفي سؤال وجّه لها حول أسباب ترجمتها للأدب العربي – علما أنها ترجمت لصلاح عبد الصبور، جمال الغيطاني-ميرال الطحاوي-ابن عربي ونجيب محفوظ و غيرهم-تقول:

" لقد قمت بترجمة هؤلاء الكتاب اعتمادا على ذوقي الخاص والشخصي، وكنت حريصة على أن اختار الأعمال ذات القيمة التي أشعر أنها تحتوي في داخلها على سمات إنسانية تخلدها"[219]. ومن جهة أخرى نجد أنجليكا نيورث(angelika niorth) تقول في نفس الموضوع:" ترجمت عملين أدبيين، الأول مسرحية " ليلى والمجنون" لصلاح عبد الصبور..أما العمل الآخر فهو رواية" الوقائع الغريبة لاختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" للفلسطيني إميل حبيبي..وقد وجدت في الحالتين نقدا ذاتيا وهذا ما حركني لترجمة العملين. كما أن العملين على درجة فنية عالية، وهذا مهم أيضا من أجل اختيار الأعمال واتخاذ قرار ترجمتها من العربية إلى الألمانية، وأنا أعتقد أنني عندما أقرر ترجمة عمل أدبي ما لابد من أن يكون عملا ذا قيمة فنية ومهماّ في لغته الأصلية"[220].

"نحن مهتمون بتعريف القارئ الاسباني بسلوك الفرد في المجتمعات العربية وتقديم صورة عن الشرق له، ونهتم بالمعارف العربية ونحاول تقديمها لنلغي ما قام به المستعربون في القرن العشرين من تقديم صورة عن العالم العربي لا علاقة لها به وبالواقع العربي،وهي معارف لم يكتسبها المستعربون بأنفسهم بل استقوها من غيرهم"[221] تقول آنا جيل (anna jil) الباحثة والمترجمة الاسبانية المدرسة في جامعة برشلونة.

وعلى غرارها يقول الباحث والأستاذ الجامعي الاسباني ايميليو جارثيا غوميث(emilio garcia gomez):"الترجمة من العربية إلى الاسبانية تتم معظمها داخل الجامعات في أقسام اللغة العربية وفي مدرسة طليطلة، وما يتم داخل الجامعات يأتي لهدف أكاديمي علمي وربما تاريخي، ولذا أقول أن الحديث عن تفاعل ثقافي حقيقي أمر

---

[219]) واقع الأدب العربي في الغرب،سعيد علوش. موقع جمعية المترجمين العرب الدولية. Wata.org

[220]) رحلة مترجمة، أنجليكا نيورث، مجلة فكر وفن، عدد 79 . 2004 ص 31

[221]) واقع الأدب العربي في الغرب،سعيد علوش. موقع الجمعية الدولة للمترجمين العرب Wata.org

صعب، لأن الترجمة لا تستهدف قطاعات كبيرة من الجمهور الأسباني، لكنها تذهب إلى عدد قليل من الطلاب أو إلى مجموعات صغيرة من الباحثين المتخصصين بالأدب العربي. وهذه الترجمات تتصف بالصعوبة ولا يستطيع التعامل معها سوى الباحثين"[222].

ومن أهم المترجمين المعروفين نجد هارتموت فندريش الباحث والمترجم الألماني الذي يعبر بصراحة عن رأيه في هذه القضية قائلا:"بحكم كوني مستعربا أزور كثيرا العالم العربي..ولي أصدقاء كثر بين الأكاديميين والكتاب العرب وكلما التقينا أطرح عليهم سؤالي المتكرر: ما هي الكتب الجديدة التي صدرت حديثا لديكم؟...وعندما أسمع من أكثر من صديق إسما ما أنتبه واشتري الكتاب وأقرأه وإذا أعجبني أقترحه لدار النشر التي أترجم لها"[223]. ويضيف في معرض حديثه في مكان آخر:"يدفعني لترجمة عمل أدبي ما موضوعه وأسلوبه الأدبي واللغوي، وهناك أشياء كثيرة عندي تحكم عملية الاختيار، مثلا وصف الحياة اليومية والأفكار المطروحة...والمناقشات التي تدور حولها...عندي اهتمام خاص بحالة القمع في المجتمعات العربية، وهي من الموضوعات التي تثير عندي شهية الترجمة....مثل القمع الفردي والعائلي والديني والحكومي والسياسي. وتسيطر مثل هذه الإجراءات القمعية على الحياة اليومية في البلدان العربية وهي جديرة بأن نعرفها للقارئ الأوروبي"[224].

من خلال هذه الآراء التي سقناها نرى تباين وتعدد المشارب والمعايير التي يصدر عنها هؤلاء المترجمون في عملهم الترجمي للنص الأدبي العربي واختلاف النقاط التي تسير

---

[222]) واقع الأدب العربي في الغرب،سعيد علوش. موقع الجمعية الدولة للمترجمين العرب Wata.org.

[223]) عبور النص إلى الضفة الأخرى.هارتموت فندريش، مجلة فكر وفن، عدد 79،2004، ص 29

[224]) الترجمة الأدبية بين التقاقف والامتثال، اميليوغارثيا غوميث. موقع الجمعية العربية للترجمة وحوار الحضارات.Atida.org

عملية الاختيار عند كل منهم، حيث نجد من يعمل على أساس فني أدبي محض وهم القلة، وهناك من يركز على الجانب الاجتماعي والفكري الذي يستمد منه النص حبكته وجوهره..إلا أننا لابد أن نلاحظ أن أغلب المترجمين هنا يتفقون أن عملية الاختيار شخصية ذاتية لا مكان فيها للرؤية أو الذوق الجمعي، فاختيار عمل أدبي يعتمد على مدى إثارته لمشاعر المترجم أو قلمه، ومدى استفزازه له استفزازا يدفع به إلى محاولة إيجاد مفاتيح هذا النص أو ذاك وبالتالي العبور به إلى مرحلة الترجمة التي من خلالها يحاول أن يمرر تلك الشحنة من المشاعر و الإثارة إلى القارئ الذي قد لا يكون حاضرا بقوة في عملية الاختيار هذه.كما يجب لفت الانتباه إلى أن قلة من المترجمين والمستعربين المتخصصين بترجمة الأدب العربي ذكروا رغبتهم في توضيح صورة الواقع العربي الحقيقية للقارئ الغربي والعمل على تنقية هذه الصورة من التشويه الذي لحق بها.

ج–الترجمة الأدبية بين الإنتقائية و الخيانة:

ومن الأمور المهمة جدا والتي تتحكم في اختيار النص المترجم لابد من تذكر أن العمل الأدبي هدف الترجمة يعتبر أولا و آخرا سلعة تسوّق ولا بد لدار النشر التي تسوقها من أن تفرض منطقها في اختيار العمل الذي لا بد أن يحقق مردودا ماديا وإلا فإن الترجمة تبقى بلا فائدة مهما كانت الأعمال الأدبية المستهدفة على قدر من القيمة الفنية والإنسانية العالية، والمترجم أولا و آخرا – وفي أغلب الأحيان– ليس إلا وسيطا يقوم بعمله نظير مردود مادي معلوم يتفق عليه مع دار النشر التي تدفع مقابل كل ترجمة ما يتناس مع مردودها المتوقع، وهذا أمر ليس حكرا على أوروبا وإنما هو في كل مكان[225].

[225] – La literature Algérienne, Jean Dejeux.Presse universitaire de France, 2eme edition, p.25

أما ما مدى جدية وفاعلية الترجمة الأدبية في ظل كل ما سبق، فإننا يجب أن نقول أن تأثيرها سيبقى محدودا مادامت تتحكم فيها الأذواق الشخصية والأمور التجارية، ومادامت غير منسقة وانعزالية ومناسباتية وهو الأمر الذي لا ولن يسمح لنا بتسويق أنفسنا بصورة نتمناها ونرجوها لأمر بسيط وجلي من خلال ما سبق وهو أن عملية الاختيار هذه ستظل تخضع لرأي الآخر وذوقه وغايته المعلنة وغير المعلنة ولن نكون نحن طرفا له قرار في الموضوع أو قوة في صنعه مادمن نتعامل مع الترجمة تعاملنا مع السلع الاستهلاكية أو المنتجات الأخرى من أي نوع، أي أننا مادمنا لم نؤسس لحركية طويلة الأمد مبنية على فكر استشرافي للمستقبل ومادمنا لا نتعامل مع أنفسنا ومع أدبنا بالجدية المطلوبة – حتى من خلال دراسته وتحليله وإدماجه في مناهجنا التربوية المتعددة دون إقصاء ولامبالاة- فإننا لا يجب أن ننتظر أن يمجد الآخرون إنتاجنا ويسعون للتعامل معه باحترام لا نظهره حتى نحن له.

وبعيدا عن جدلية خيانة الترجمة الأدبية من عدمها، لا بد لنا من الوقوف عند نقطة مهمة جدّا ألا وهي السمة الانتقائية التي تميز عملية اختيار النص الأدبي موضوع الترجمة، فنحن وإن كنا نؤيد رأي المترجمين في اختيار الأعمال ذات القيمة الفنية العالية، إلا أننا نستغرب تركيز بعضهم- وليس كلهم – على نقاط خاصة في مواضيع الروايات والقصص، فحين نرى "أنجليكا نيورث" تقول أنها تركز على الأعمال التي فيها قدر كبير من النقد الذاتي للواقع وللفرد العربي، وحين نرى مستعربا بحجم فندريتش يصرح دون مواربة أن الأعمال التي تستفز فيه المترجم هي الأعمال التي تعالج حالات القمع في مختلف أشكالها وتجلياتها في العالم العربي، وأيضا وليم جرانارا يؤسس اختياره للنصوص التي تصور حالات الفرد المتمرد في المجتمع العربي وحياة المرأة العربية المعذبة والتي تتمتع

بقدر ضئيل جدا من الحرية- في نظره- مقارنة بمثيلاتها في المجتمعات الغربية وغير الغربية فإن ذلك كله يدعونا للتساؤل عن مردّ هذا التركيز الخاص وهذه الانتقائية الصريحة التي لا يخفيها أصحاب الفخامة المترجمون، ونحن هنا نجدأ نفسنا مدفوعين للتساؤل:لماذا هذه الانتقائية؟ وهل هي مقصودة أم لا؟ وما مدى دورها في خدمة الأدب العربي المترجم إن كانت تخدمه فعلا؟ وقبل الخوض في الإجابة عن هذا الموضوع لا بد أن نذكر بأن أغلب المترجمين والمستعربين المتخصصين يسارعون إلى نفي ونبذ أي أهداف أو منطلقات إستشراقية وراء اختياراتهم، لكننا-والواقع أفضل مثال – لا يجب أن نسارع في الحكم، أو بالأحرى لا يجب أن تتخذ وضع المحارب، بل يجب أن ننظر للقضية بحيادية وموضوعية لنضمن رأيا متوازنا ييسر لنا الوصول إلى نتيجة عادلة.

إن المترجم قبل أن يكون مترجما هو فرد من مجموعة بشرية تشكل مجتمعا أو قومية لها خصائصها الفكرية والعقدية والاجتماعية التي هي جزء لا يتجزأ من شخصية هذا الفرد وبالتالي فإن مكانها وتأثيرها في وعيه أو لاوعيه مسألة مسلم بها، وبالتالي فإن مسألة حيادية المترجم مسألة نسبية،و هو ما يدعونا إلى التفكير بريبة باعتبارنا المتضررين الرئيسيين من العملية الترجمية خاصة إذا كانت ستعمل على تعزيز الصورة النمطية لدى الغرب عنا، والرأي أنه حتى وإن كانت نية المترجم صادقة ورأيه أيضا-في قضية الأهداف الإستشراقية للترجمة- إلا أن ذلك لا يعني بأنه سيتخلص منها بسهولة خاصة إذا كان العنصر التجاري غالبا على العملية، أي أن النص الأدبي الذي يتوقع له شيوع وانتشار عند القاري الغربي هو ذاك الذي يناسب الصورة النمطية المعروفة لديه عن العالم العربي، فالقارئ في الغرب لن يتمتع بالنص المترجم إن لم يدخل إلى العوالم الميتافيزيقية والإكزوتيكية المعروفة عنده عن هذه الجهة من العالم، ولن يثير النص مكامنه إن لم يقدم

له مغامرة مليئة بالإثارة والخرافة والجنس المحرم المرغوب على طبق من الروابط اللامنطقية والبعيدة عن الواقع. والأمر و إن لم يكن عاما إلا أنه الأغلب، حيث يهتم القارئ الغربي بما وراء الأستار في الوطن العربي و في الأسرة العربية خاصة حينما يدور الحديث عن ما يعتبر طابوها ومسكوتا عنه مثل الثالوث المحرم (الدين، السياسة والجنس)،و العنصر الأخير هو الأشد طلبا وأثرا باعتبار أن الحرية الجنسية ليست شيئا يتشاطره العالم العربي مع العالم الغربي والحديث عنه وعن القمع متعدد الأشكال يدخل القارئ في عوالم من الإستكشافات المثيرة التي تشبه مغامرات أبطال ألف ليلة وليلة – التي تعد قاعدة وأساسا في معرفة العقلية العربية والشرقية بصفة عامة–أو مثل مغامرات أبطال هوليوود مثل مغامرات الباحث الأسطوري " إنديانا جونز" في بلاد الشرق التي أغلب سكانها أشرار، جشعون وسفاكو دماء، في حين تعيش المرأة في هذا الشرق على أمل مجيء بطل مثل أبطالهم ليخلصها من عذابها ويعبر بها إلى ضفاف الجنة بين ذراعيه، صورة نمطية لا يستطيع حتى المترجم المتخصص أن يهرب منها حتى وإن أراد. إن المترجم لا يترجم لنفسه أو لمتعته الشخصية بل هو فرد في منظومة معينة يقوم بدور محدّد سلفا لا يعدوه ولا يتخطاه، إلا أن هذا لا يعني أنه الوحيد المذنب وأننا نكتفي بجعله شماعة نعلق عليها فشلنا أو تخلفنا، إذ إنه لا يعدو أن يكون وسيطا –كما قلنا– في نقل عمل أدبي محتواه من إنتاجنا نحن، وهذا يسوقنا إلى قضية مهمة هي غياب منظومة متكاملة للترجمة في عالمنا العربي– وهو ما أكدناه في بداية هذا الفصل–، وكذا غياب التنسيق والتعاون بين المترجمين العرب والغربيين وهو أمر غريب نظرا إلى حساسية الموضوع والجدل الذي يثار حوله منذ أمد بعيد ولا يزال يثار إلى الآن.

يقول روجر ألان حول هذه النقطة بالذات أن غياب التنسيق والتعاون بين المترجمين العرب والغربيين مرده إلى عدم معرفة الأحد بالآخر وغياب القنوات الكفيلة بجمع كليهما في منظومة تسمح بتبادل الآراء و الأفكار والخبرات وبالتالي التعاون الفعلي في عملية الترجمة والتي ستكون أكثر ثراءا وقربا إلى الواقع[226] . وفي نفس الإطار يذكر مترجم آخر رأيا أكثر صراحة وصدما وهو مدى اعتداد كل طرف بنفسه، فالمترجم واللغوي العربي يرى بأنه مغموط الحق وأنه فاقد الإعتبار عند الآخر الذي يتعامل بفوقية وتعال واعتداد تجاه المترجم العربي الذي يراه غير ذي إضافة نوعية ولا فائدة من العمل معه مادام هو قادرا على تحمل العمل وحده[227].

وهذا التباعد النفسي والفكري من أهم الأسباب التي جعلت التنسيق والعمل المشترك من الصعوبة بما كان. حيث نجد أن الشعور بعدم الثقة يتعاظم في ظل هذا المناخ غير الصحي والمشبع بالريبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

وفي نفس الإطار نتساءل: هل هذه هي الأسباب الوحيدة التي تعيق عبور النص الأدبي العربي إلى الضفة الأخرى بطريقة ترضي الطرفين أم أن هناك أسباب ونقاطا أخرى تساهم بشكل أو بآخر في اتساع هذه الهوة وتعاظم هذه الإعاقة؟

بعيدا عن غياب التنسيق بين المستعربين المترجمين والمترجمين واللغويين العرب والذي يرجع في أحد أسبابه إلى التنافر والتنابز الذي ذكرناه سالفا،نجد أن كلا الطرفين في هذه القضية يكيل التهم للآخر سواءا كانت هذه التهم مبنية على منطق سليم سوي

---

[226]) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم محمد صالح البنداق، ، ص 114.

[227]) واقع الأدب العربي في الغرب، مجموعة حوارات، موقع الجمعية الدولية للمترجمين العرب. Wata.org

أو على مجموعة من العواطف المتحكمة في هذا أو ذاك والتي تطغي على النظرة والمعالجة الموضوعية للموضوع.

من أهم النقاط السلبية التي يشدد عليها الباحثون والمختصون العرب والتي يروها سببا جوهريا في رداءة الترجمات أساسا عند المستعربين نجد مسألة تحكم المستعرب المترجم في اللغة العربية ومدى تطويعه لها والتي هي شرط رئيسي لا بد أن يتوفر في شخص المترجم كما بيننا ذلك في مدخل هذه المذكرة، يقول محمد صالح البنداق،" ثبت بما لا يقبل الشك أن فئة من المستشرقين الذين يدعون فهم العربية هم في الواقع لا يحسنونها وهذا انقص فادح في متطلبات العمل العلمي"[228]. " إنهم جهال فعلا.."[229] يضيف الدكتور عمر فروخ. وهذا ليس رأيا أو حكما معزولا أو منطلقا من فراغ لكنه مبني على خبرات قرون من الترجمات الإستشراقية سواءا للقرآن الكريم أو الأعمال الأخرى من مؤلفات تاريخية وفلسفية وفكرية وأدبية. وللدكتور عبد العظيم الدين في كتاب " المنهج في كتابة الغربيين عن التاريخ الإسلامي"[230] آراء في هذا الموضوع الذي تصدى له بموضوعية متناهية مثبتا فشل ومحدودية معرفة بعض أشهر المستشرقين في التحكم في اللغة العربية وفهمها وبالتالي نقلها نقلا أمينا سواءا كان هذا النقص والخطأ مقصودا لذاته أم غير ذلك، وقد هوجم المستشرقون والمستعربون كثيرا ولا زالوا لهذا السبب بالذات من كثير من الباحثين أمثال أنور الجندي ومحمود شاكر وعبد العظيم الديب وإدوارد سعيد

---

[228]) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، ص 98-99.

[229]) المجلة العربية. عدد1.1977م، ص 116.

[230]) المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامي عبد العظيم الديب، كتاب الأمة رقم 27.ط 1، ربيع الثاني 1411هـ.

وغيرهم كثير ممن له صلة مباشرة بالموضوع[231].ومن النقاط المهمة الأخرى والتي يستند إليها كثير من الباحثين المشككين في نزاهة عمل المستعربين في الترجمة الأدبية أو على الأقل في قلة جودته، نجد الكلام يدور حول فكرة التفاوت والاختلاف الحيوي بين اللغات وبين اللغة العربية بالتحديد واللغات الأخرى خاصة الفرنسية إذ أنه " قد أثبتت الدراسات في اللغات الفرق الكبير بين حروف العربية وجملها الاسمية والفعلية، وأساليبها المتعددة وبين اللغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية"[232]. "فاللغة العربية لغة عالية بكل معنى الكلمة"[233]. وهذه النقطة – بعيدا عن تمجيد اللغة العربية وثرائها- نقطة تعبر عن أمر موجود ومعترف به عند علماء اللغات واللسانيين، حيث أن اللغات ليست على مستوى واحد في تراكيبها وبنائها وأساليبها وكذا ظواهرها اللغوية المعروفة والمميزة لها، فكما نستطيع القول أننا لن نجد لبعض المفردات العربية مرادفا في اللغة الفرنسية، فنفس الكلام يكون عن مفردات وكلمات فرنسية لا مرادف لها في اللغة العربية، والأمثلة على ذلك متوافرة في كتب الترجمة المقارنة بين اللغة العربية والفرنسية .

وهذا التفاوت يقف حجر عثرة أمام وصول الترجمة إلى المستوى الذي تبتعد فيه عن الريبة المصاحبة لها وكذا الانتقاد الذي يلاحقها،حتى وإن كان لا بد من القول أن الترجمة ليست مطالبة بأن تكون كاملة وهو ما سيظل مستحيلا بل المطلوب من خلال الآراء التي تعاملنا معها هو الوصول بروح النصّ دون تحريفه أو تزييفه وبالتالي اغتياله إن أمكننا القول بذلك، ويبقى الموضوع مفتوحا على آراء أكثر ودراسات أكثر نتمنى أن توفق في تقليص الهوة بين الأدب العربي والآخر، بل أكثر من ذلك تساهم في تحقيق

---

[231]) ينظر فلسفة الاستشراق و اثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش.

[232]) المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق، ص 99-100.

[233]) المرجع نفسه، ص 100.

المصالحة التي نأملها بيننا وبين أدبنا المعاصر الذي لازال يصارع لإثبات نفسه في عالم عربي أصبحت نسبة المقروئية فيه متدنية بنسبة مخيفة.

أما الآن فإننا سنتجه إلى الحديث في ثلاث نقاط نراها ذات أهمية في إثراء هذا البحث، فنعرج أولا على لمحة تاريخية موجزة حول ترجمة الأدب العربي الحديث والمعاصر إلى الفرنسية، ثم سنتحدث عن نقطة جدلية مثيرة يتبناها كثير من مفكرينا وأدبائنا وباحثينا ألا وهي فكرة المؤامرة المحالة للأدب العربي المترجم خصوصا، قبل أن نمضي أخيرا وليس آخرا إلى محاولة جلاء الأسباب البارزة التي حالت ولا زالت دون انتشار الأدب العربي في فرنسا خاصة وأوروبا عامّة وحالت دون تحقيقه الرواج الأدبي الذي حققته آداب أخرى كأدب أمريكا اللاتينية، رغم أن العالم العربي أقرب جغرافيا وتاريخيا إلى فرنسا وأوروبا.

د- تاريخ ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الفرنسية[234]:

يجب القول قبل كل شيء أن فكرة ترجمة الأدب العربي إلى اللغات الأخرى خاصة الفرنسية والانجليزية كانت قبل منتصف القرن العشرين تتم بشكل منفرد ومعزول في أغلب الوقت، وكان الأمر مقتصرا على ترجمة تآليف أو أجزاء من الأدب العربي القديم خاصة،و بشكل حصري في فن النثر.أما منذ خمسينيات القرن الماضي فقد بدأت المعطيات تتغير حين بدأت إرهاصات العمل الترجمي المنظم تظهر ولو بشكل متقطع بظهور دار نشر صغيرة في باريس هي Nouvelles Editions Latines والتي اهتمت بترجمة بعض أعمال محمود تيمور وتوفيق الحكيم، غير أن هذه الدار اختفت في بداية الستينيات و لم يبقى إلا نزر قليل من مطبوعاتها في بطون المكتبات العامة الكبرى.

---

[234]) الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، أحمد درويش، ص 160- 182.

وفي سنة 1960م صدرت ترجمة الجزء الأول من كتاب الأيام لطه حسين والذي قدم له صديقه المستشرق المعروف أندريه جيد، ثم ظهرت ترجمة " أنا أحيا" لليلى بعلبكي في دار نشر جوليار Juliar.كذلك نجد مجلة "Orient " عنيت بترجمة بعض القصص والقصائد لعدد من الكتاب السوريين والفلسطينيين، وترجم معظمها سنة 1962م على يد المستشرقين ميشيل باربو Michel barbou وهنرى لوسيل Henri Lucil.

أما كبار المستشرقين المعروفين المهتمين بالأدب أمثال ريجيس بلاشير و اميل درمنغم ولويس ماسينيون وشارل بيلا وأندريه ميكيل، فكانوا بصفة عامة يؤثرون التعامل مع الأدب العربي القديم معتبرين أن أغلب –إن لم نقل كل ما أتى بعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وخاصة أدب عصر النهضة وما تلاه–لا يستحق المتابعة.

و في عام 1967م أصدرت درا "سوي Seuil " الباريسية ثلاث مجلدات عن الأدب العربي الحديث جمعت مختارات الرواية والقصة (المجلد الأول)والمحاولات (المجلد الثاني) والشعر (المجلد الثالث).

وقد ساعد هذا العمل في تعريف القارئ الفرنسي الفضولي على بعض الأسماء والنصوص، وهنا" لا بد من القول أن السياسة الشرق أوسطية لفرنسا بعد حرب 1967م، التي عبر عنها الجنرال"ديغولDe Gaulle"، قد خلقت مناخا ملائما للانفتاح"[235].و في سنة 1972م أنشأ شاب فرنسي اسمه "بيير بيرنارد Pierre Bernard" دار نشر لازال أسمها معروفا حدا ومرتبطا بترجمة الأدب العربي الحديث خاصة، دار النشر هذه التي أطلق عليها اسم" سندباد Sinbad " التي دعمتها بعض الجمعيات الخيرية وقدمت لها الحكومة الجزائرية مساعدات كبيرة، وقد اهتمت الدار إلى

---

[235] – الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي ، أحمد درويش ، ص 156.

جانب السلاسل التي أصدرتها حول الأدب العربي الكلاسيكي والأدبين الفارسي والتركي- بترجمة عدد من الكتاب العرب المعاصرين ومن أبرزهم نجد: الطيب صالح ونجيب محفوظ ويوسف إدريس و أدونيس وعبد الوهاب البياتي وجمال الغيطاني وعبد السلام العجيلي والطاهر وطار وحنا مينه وعبد الرحمن منيف وغسان كنفاني الشهيد." وكان، إخراج هذه الترجمات لطيفا مشوقا، الأمر الذي حدا ببعض الناشرين الآخرين إلى خوض مغامرة الكتاب العربي المترجم"[236].وهو ما فتح الباب لاستمرار هذه الحركية ولو على استحياء، "فصرنا نجد في مكتبات البيع كتبا مترجمة عن العربية من إصدار دور نشر مثل "غاليمار Galimar"،"سوي Seuil" ،"لاتس Lotus" و"ميزونوف Maison Neuve" و "ميركور دو فرانس Mercure de France"، إضافة إلى دار "سندباد Sinbad" السالفة الذكر حتى أننا نجد بينها دارا تختص بمؤلف مثلما فعلت دار " دونويل Deneuil "التي نشرت ما يزيد عن نصف أعمال نجيب محفوظ المترجمة إلى الفرنسية، ودار" مركوردو فرانس" التي نشرت أعمال السوري أدونيس خاصة[237].

ومابين عامي 1992م و 1995م أنشأ أستاذ الأدب العربي المعاصر بجامعة ليون Université de Lyon " "إيف غونزاليس كيخانو Ive Kikhano Gonzalez " سلسلة تحت اسم "عوالم عربية Mondes Arabes"في دار سندباد وشجع ترجمة الكتاب العرب الشباب من أمثال رشيد الضعيف وحنان الشيخ وصنع الله إبراهيم وسليم بركات وعالية ممدوح، وبلغت إصدارات السلسلة واحدا

---

[236] - المرجع السابق، ص 168.

[237] - المرجع نفسه ، ص 161.

وعشرينا إصدارا .وسنة 1995م قامت دار "أكت سود Acte Sud" بشراء دار سندباد بعد وفاة مؤسسها وتراجعها نوعا ما، الأمر الذي جعلنا نشهد ولادة دار كبرى تعنى بالأدب العربي، وتصدر عدة سلاسل منها: سلسلة " الأدب الكلاسيكي" تحت إشراف أندريه ميكيل، وسلسلة " الأدب الحديث" بإشراف فاروق مردم بك، وكذا سلسلة " البشر والمجتمعات" و "المكتبة الإسلامية"وسلسلة "ذاكرات المتوسط Memoires de la Mediteranée" الناشئة حديثا، وهذه الأخيرة بالذات صدرت من خلالها ترجمات للكتب والكتاب التاليين: سيرة مدينة لعبد الرحمن منيف، والأفق العمومي لعبد القادر الجنابي، جملة تفتيش للطيفة الزيات، وبيضة الحمامة لرؤوف سعد. و جدير بالذكر أن هذه السلسلة تستفيد من دعم " المؤسسة الأوروبية للثقافة" وهي تصدر حسب في خمس أو ست لغات أوروبية ويرأس غونزاليس كيخانو الطبعة الفرنسية منها. كما يجب التنويه بمساهمة " معهد العالم العربي" في باريس في دعم بعض السلاسل، خاصة سلسلة "الآداب المعاصرة"[238].

وهكذا نرى أن دور النشر الفرنسية تكون قد ترجمت حتى الآن ما يربو على سبعين كاتبا عربيا بين حديث ومعاصر، وهو عدد ليس بالهين، ونالت الأعمال الروائية حصة الأسد من هذه الترجمات والإصدارات.

هذه النافذة المفتوحة والتي أتاحت للنص الأدبي العربي الالتقاء بالقارئ الفرنسي لا بد وأنها أتاحت أيضا أن يكون هناك أثر في نظرة هذا القارئ إلى هذا الأدب العربي دون الجزم بتحسنها أو توقع تقهقرها إلى أقل مما كانت عليه. فنطرح السؤال التالي: كيف استقبل ويستقبل القارئ الفرنسي أدبنا؟

---

[238] – الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر ، الطيب بن ابراهيم ، ص 118.

إذا قمنا بعملية مقارنة بسيطة بين وضع الكتاب العربي المترجم إلى اللغة الفرنسية في الستينيات والسبعينيات ووضعه الآن، نجد تطوّرا ملموسا لصالح هذا الكتاب، فبينما كنا في الماضي وكأننا ندور في حلقة مفرغة تتوسطها بضعة كتب معدودة، صار أمامنا الآن عشرات وعشرات من الكتب المتنوعة التي- ورغم كل شيء- تعطي فكرة أوسع عن أدبنا،وإن كانت مجتزأة ومنقوصة، فرغم التطور الذي يعيشه الكتاب العربي المترجم والمنشور في فرنسا، إلا أن دور النشر المتوسطة خاصة تشكو غالبا من قلة الموارد المادية، ومن قلة القراء أيضا، وبالتالي- مثل أي عمل تجاري- فإن هذه الدور لا بد لها، أو أنه بالأحرى من المنطقي أن تركز على الجانب الربحي وهذا أمر مشروع. فيطبعون ما يتراوح بين ألف نسخة وألفين إن كانت الكاتب مغمورا، في حين يقومون بطبع ما يكون بين ستة آلاف وعشرة آلاف نسخة إذ كان الكاتب في منزلة نجيب محفوظ دون خوف من الخسارة، لأن اسما كنجيب محفوظ يضمن انتشار الكتاب[239]. لكن من يقرأ أدبنا من الفرنسيين؟هنا نجد أولا أبناء الجاليات العربية المهاجرة الذين لا يتقنون اللغة العربية أو لا يعرفونها إلا قليلا، ثم طلاب أقسام اللغة والأدب العربيين في الجامعات الفرنسية، ثم نجد الصحفيين والمثقفين المعنيين بالعالم العربي وبشرق المتوسط، ونادرا ما نرى إقدام قارئ ليست له أيه صلة أو مصلحة مع هذه المنطقة من العالم على شراء كتاب من كتبنا المترجمة، عكس ما يحصل مع كتب الآداب الأخرى خاصة الأدب الأمريكي اللاتيني[240]. لماذا هذا التمايز؟ أغلب الظن أن الكتاب العربي المترجم خاصة والكتاب العربي عامة لا يحظي بالترويج الضروري في وسائل الإعلام الجماهيرية الواسعة

---

[239] - الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي ، أحمد درويش ، ص 170.

[240] - المرجع نفسه ، ص 175.

الانتشار، فإذا قارننا وضع أدبنا العربي بوضع الأدب اللاتيني نجد أن وسائل الإعلام تتابع ما يصدر من هذا الأدب الأخير و عنه وتقدمه للجمهور العريض بما يفوق متابعتها لأدبنا.

صحيح أن بعض الوسائل المكتوبة مثل جريدة "لوموند Le Monde " تقدم بين الحين والآخر بعض الإصدارات التي يكتب عنها الكاتب المغربي الطاهر بن جلون حتى وإن كان ما يقدمه يبقى خفيفا ولا يغطي إلا جانبا من هذه الإصدارات، إلا أنه يبقى جهدا محترما[241].

يحتاج الأدب العربي إلى الظهور في مجلات وجرائد واسعة الانتشار وذات مقروئية عالية النسبة مثل "لوبوان Le Point"، " لونوفيل أو بسرفاتور Le Nouvel Observateur"، كما يحتاج إلى التقديم في المحطات التلفزية والإذاعية على غرار ما تتمتع به آداب أخرى غيره. لكن اختراق هذا الحصار المفروض في غالب الأحيان ليس بالأمر السهل نظرا لمحاربة الصهيونية لكل ما هو عربي بتحكمها بوسائل إعلامية قوية ومتعددة،إضافة إلى الجانب السياسي الذي يتخلل أحيانا هذه الترجمات حين تقدم بأسلوب مبتسر و مبسط فيهمل الجانب الفكري والأدبي لهذه النصوص ولا يعرض منها. إلا ما يثير الجدل والاتهام غالبا[242].

وبسبب تنامي الانفتاح بين شعوب البحر الأبيض المتوسط نشأ في فرنسا قارئ فضولي راح يهتم بآداب عديدة، وبالأدب العربي الذي يكتب في الضفة الأخرى من البحر. وهو قارئ غير متخصص، وقد لا يعرف من العربية إلا بعض الكلمات التي

---

[241] – المرجع السابق ، ص 177.

[242] – ارتباكات الهوية ، نورة فرج ، ص 108.

دخلت إلى اللغة الفرنسية الشعبية أثناء استعمار المغرب الكبير أو من خلال المهاجرين المغاربة الكثر في فرنسا، وقد يكون هذا القارئ المستهدف قد قام برحلة إلى هذا البلد العربي أو ذاك، وأراد استكمال الرحلة أو التحضير لها ببعض المطالعات الإبداعية..كما يكون ربما من رواد " معهد العالم العربي" في باريس أو يكون زبونا من زبائن مطاعم الكسكسي والمأكولات الشرقية، وبالتالي فلاشك أن العالم العربي يثير لديه فضولا معرفيا قد ينقله الى أصدقائه ومعارفه، فتتوسع الحلقة طبيعيا[243]. لكن ندوة إذاعية أو تلفزيونية عن الأدب العربي قد تؤثر في الجمهور أكثر بكثير وبطريقة أكثر عمقا من كل هذا النشاط الفردي، ولعل الآتي من السنوات سيحمل تغييرات تكون في خدمة هذا الأدب الذي عانى ولازال يعاني من قلة الاهتمام والاعتراف على الرغم من القوة والعمق الذين يتميز بهما زيادة على أصالته وقوة تمثيله لبيئته بصورة عامة.

ومن خلال الكتاب الذي أصدره " معهد العالم العربي Institut du Monde Arabe" وعنوانه:" الكتاب العرب أمس واليوم" والذي أشرف على إصداره فاروق مردم بك، نلاحظ أن عدد المترجيين الذين ساهموا في نقل الكتاب العربي إلى الفرنسية زاد عن المائة والثلاثين مترجما، وأن عدد الكتاب العرب المعاصرين الذين نقلت بعض أوجل كتبهم إلى اللغة الفرنسية يزيد عن السبعين كاتبا من مختلف البلدان العربية. وإذا ما قارنا ما يترجم ومن يترجم إلى البلدان العربية عن الفرنسية وجدنا أن هناك أعدادا أكبر من الكتب التي تترجم إلى لغة الضاد من الفرنسية، رغم أن تنسيق وتوثيق عمليات الترجمة في ديار العرب غير متوفرة عموما[244].

---

[243] – ، ارتباكات الهوية ، نورة فرج .ص 21..

[244] – المرجع نفسه ، ص 37.

وكخلاصة نقول أنه وبالرغم من التحسن الملموس الذي طرأ على وضع الكتاب العربي المترجم إلى الفرنسية، فالباب قد فتح لكنه مازال مواربا ،صحيح أننا نستطيع القول أننا تجاوزنا مرحلة التعتيم نوعا ما، وتخطينا الإهمال الذي كان يعاني منه أدبنا في جوهره وقيمته، نقول رغم كل هذا فلا زال هناك عمل شاق يستلزم تضافر الجهود وتكاتف النيات الصادقة للوصول بهذا الأدب إلى المرتبة التي هي من حقه بين مصاف الآداب العالمية، أو التي يطلق عليها العالمية.

هـ- ترجمة الأدب العربي وعقلية المؤامرة[245]:

يتهم كثير من المثقفين العرب-وكما ذكرنا سالفا-المترجمين الأجانب ودور النشر الأجنبية بترويج صورة نمطية عن الشرق، إذ يغلب على حركة الترجمة -حسب رأي أغلبية الباحثين- من و إلى اللغة العربية العشوائية وغياب المنهج، فالأمر متروك غالبا للصدفة وذوق المترجم واختياراته التي تحكمها عوامل عدة. ومن ناحية أخرى هناك السوق ومتطلباته التي تفرض نوعا معينا من الكتب وتتجاهل آخر،و يصدق هذا عموما على الترجمة من العربية وإليها ذلك لأن معظم الذين يترجمون الأدب العربي إلى اللغات الأخرى هم من الأجانب، فالشكوك والريبة تحيط بهم، وهم دائما ما يكونون موضع اتهام بتعمد نشر غسيلنا القذر واختيار أعمال تؤكد وجهة نظر مسبقة وأحكاما يمكن وصفها باللاموضوعية أحيانا والعنصرية أحيانا، ولنضرب مثالا على ذلك لتقريب المعنى: عندما يأتي مترجم عربي متمكن ومعروف بترجمة لنجيب محفوظ مثلا إلى الفرنسية أوغيرها من اللغات الأوروبية خاصة، أو بترجمة لحنا مينه فغالبا ما يحتفى به لنقله عيونا

---

[245] - ارتباكات الهوية ، نورة فرج ، ص 61.

من أدبنا إلى تلك اللغة وإلى قارئها، أما إذا اختار مترجم فرنسي أو ألماني نفس تلك الأعمال فإن الشكوك ستساورنا حتما في نزاهة الاختيار[246].

أعمال نجيب محفوظ فرضت علينا ترجمتها بعد حصوله على نوبل، محمد شكري يترجم لأنه فضائحي ومبتذل، ادوار الخراط لأنه قبطي والغرب منحاز للأقليات خاصة غير المسلمة في البلدان المسلمة، ميرال الطحاوي تترجم لأنها تكتب عن صوت المرأة المقموع في الوطن العربي وهذا ما يريد الغرب أن يسمعه...وغيرها من الجمل والتعابير التي يمكن أن نطلقها جزافا، ونحن بالفعل نفعل ذلك من غير تمحيص ولا دراسة متزنة ومتأنية للظروف التي تتحكم في هذه العملية – الترجمة – من كل جوانبها[247].

الترجمة، إذن مدانة ولابد من القول أن هناك من المترجمين من يؤكد الظنون والشكوك ويثبت أن الإدانة في محلها، لكنهم ليسوا كل المترجمين، ولا يجب أن ننسى أن هناك مترجمين عديدين يعملون بإخلاص وتفان في نقل أمهات الكتب من روايات وقصص ودواوين من لغتنا إلى لغاتهم، لكن لأن عقلية المؤامرة حاضرة في الثقافة كما هي في السياسة فنحن نميل إلى تصديق أي كلام يقال دونما تمحيص طالما يوافق ويلاقي هوى في نفوسنا. وما دمنا ننساق وراء هذه الأحكام – حتى وإن كانت حقيقية- دون دراسة مقارنة مثلا أو حتى بحث رصين-ولو موجز- فسنظل نصدر هذه النوعية من الأحكام المسبقة التي -وللغرابة- نقوم بكل هذا لمحاربتها وضحدها عند الآخر.

والآن نصل إلى التساؤل الأخير حول الأسباب المتنوعة التي تقف في طريق انتشار وتوسع الأدب العربي في أوروبا عامة وفرنسا خاصة؟ ونعيد طرح التساؤل عينه الذي

---

246 – الاستشراق و الوعي السالب ، خيري منصور ، ص 137.

247 – الترجمة الأدبية ، مشاكل و حلول ، إنعام بيوض ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط01 ، 2003 ، ص 54.

سبق وطرحناه في موضع آخر: بغض النظر عن حكم القيمة ،لماذا لم يستطع الأدب العربي أن يحقق الرواج الأدبي في فرنسا، والذي يحققه مثلا الأدب الأمريكي اللاتيني، رغم أن العرب أقرب وأوثق صلة جغرافيا وتاريخيا بأوروبا؟.

بادئ ذي بدء لابد أن نشير أن من أهم هذه الأسباب أن أدب أمريكا اللاتينية يعتبر جزءا من الثقافة الأوروبية وقد جرى الأمر على ترجمته وعلى نطاق واسع منذ أربعينات القرن الماضي، في حين بدأت ترجمة الأدب العربي مع الستينيات أو السبعينيات بشكل أكثر وضوحا.

والسبب الجوهري الثاني يعود إلى تسليط الضوء على أدب أمريكا اللاتينية إعلاميا بصفة مستفيضة ومستمرة تضمن له الحضور المتكرر خاصة مع وجود عدد لا بأس به من الحائزين على جائزة نوبل من أمريكا اللاتينية وعلى رأسهم غارسيا ماركيز و جورج أمادو، يمكن اعتبار هذين السببين مدخلا إلى جملة من الملاحظات الأساسية التي تتعلق بحركة ترجمة الأدب العربي إلى الفرنسية خلال العقود الأربعة الأخيرة، ووضعها الراهن[248].

الملاحظة الأولى هنا هي أن الثقافة العربية قبل أربعة أو خمسة عقود كانت تعرف تجاهلا كبيرا في فرنسا، وكان الباحث والناقد الفرنسي يهتم بما قد ينشر في الأرجنتين والمكسيك وتشيكوسلوفاكيا، وعندما يصل إلى الوطن العربي يتجاهله. و في كتابه الشهير "**رولان بارت بقلم رولان بارت**" يلمح الناقد الفرنسي إلى أن الثقافة العربية " لاتهمنا إلا في حالات أنثروبولوجية". ومن المعروف أن كثيرا من دور النشر الفرنسية لم

---

[248] – الترجمة الأدبية ، مشاكل و حلول ، إنعام بيوض ، ص 46.

تتحمس لنشر نجيب محفوظ قبل نيله جائزة نوبل، فصارت الجائزة الشرط الأساسي لظهور الكاتب، وليست شرطا لقيمة عمله الأدبي[249].

والملاحظة الثانية هي أن ما ترجم إلى اللغة الفرنسية من العربية في ثلاثة عقود يتجاوز ما ترجم عبر قرون، ورغم ذلك يبقى الكتاب العربي المترجم إلى الفرنسية على هامش الأدب المكتوب مباشرة بالفرنسية، والطاهر بن جلون ,أمين معلوف ومحمد شكري وغيرهم خير مثال على ذلك، فضلا عن العشرات من الكتاب العرب، أو المنحدرين من أصول عربية الذين يكتبون باللغة الفرنسية خصوصا من الأجيال الجديدة، ومن المؤسف أن هؤلاء مغيبون ويعانون من إهمال ثقافي حاد خاصة وأننا لازلنا لم نخرج من الجدل الدائر حول هوية هذا الأدب أهو عربي أم لا ، ويتطلب الأمر انتباه الجهات المختصة إلى الثقافة العربية التي تنتج وتكتب و تقدم بلغات أخرى، وإلى الكتاب العرب من أبناء المهاجرين المزدوجي اللغة، وإلى الملايين من المسلمين والعرب الذين يعيشون في الغرب[250].

أما الملاحظة الثالثة التي تستحق التوقف أمامها هنا، فهي أن أفضل حضور للأدب العربي في أوروبا موجود في فرنسا، وربّما يعود فضل كبير في ذلك لدار النشر التي سبق أن تكلمنا عنها وهي درا "سندباد/ أكت سود" التي ترجمت لأكثر من 100 كاتب عربي من أصل أكثر من مائة وثلاثين كاتبا ترجموا إلى الفرنسية، منهم نجيب محفوظ ومحمود درويش وأدونيس و إلياس خوري، وهدى بركات ويحي حقي وغيرهم كثير.وللوقوف

---

[249] – الترجمة الأدبية ، مشاكل و حلول ، إنعام بيوض ، ص 117.

[250] – الاستشراق و الوعي السالب ، خيري منصور ، ص 81.

على حجم هذا الجهد يكفي ملاحظة ما يتمتع به الأدب العربي المترجم إلى اللغة الفرنسية من حضور مقارنة بما كان عليه قبل أربعين عاما[251].

الملاحظة الرابعة تختص بالدافع إلى الترجمة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وهنا يمكن إيراد سببين لم نوردهما قبلا. السبب الأول هو حركة تطور الثقافة الفرنسية نفسها. فالثقافة الفرنسية شأنها شأن غيرها من الثقافات منفتحة وترفع لواء العالمية، فذهبت للبحث والتنقيب عن الثقافات الأخرى في آسيا و إفريقيا – شمال إفريقيا- وأمريكا اللاتينية، ومن الطبيعي أن تتجه إلى ترجمة إلى ترجمة الأدب العربي، كما تتجه إلى ترجمة آداب بلدان مثل الصين واليابان وتركيا والهند و غيرها.

السبب الثاني هو وجود ما يزيد على خمسة ملايين مسلم وعربي، وخصوصا من أبناء الجيلين الثاني والثالث الذين تعلموا في الجامعات الفرنسية وانقطعوا عن أصولهم اللغوية والفكرية العربية الإسلامية، فصار حضور هذا الكم من العرب المسلمين مصدر طلب للثقافة الأدبية والدينية.

الملاحظة الخامسة هي أن الرواية العربية هي الأكثر انتشارا في فرنسا من بين الأنواع الأدبية العربية، وهناك تركيز على ترجمة مجموعة من الكتاب من جيل الستينيات تحديدا، وإغفال لباقي النتاج الآخر والأجيال الشابة المعاصرة، الأمر الذي يحتم ضرورة ترجمة ونشر أعمال إبداعية متنوعة أكثر حتى يدخل الأدب العربي ميدان المنافسة بقوة لسائر الآداب الأخرى. وهنا نعود دائما ونكرر أن التقصير في الجهد العربي الرسمي وغيابه بصورة تامة له أثر كبير في كل ما سقناه والذي نتمنى أن يتغير مستقبلا.

---

[251] – الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي ، أحمد درويش ، ص 163.

أما الملاحظة السادسة فهي حسبما لمسنا غياب النشر المشترك بين الناشرين العرب والفرنسيين، حيث أن الالتفات إلى هذا الجانب من شأنه أن يساعد على إيصال الكتاب العربي إلى اللغة الفرنسية، ومن المؤسف أن الناشر العربي لم يصل إلى مرحلة أبعد من الاستثمار السريع الأجل في الكتاب، ولو أنه لجأ إلى الاستثمار على المدى الطويل، لكان من الممكن الوصول إلى صناعة كتاب حقيقية كما هو قائم في أوروبا والغرب على العموم، وهذا الأمر يتطلب في كل الأحوال، أن تكون دار النشر قادرة على النهوض بهذه المهمة على المستوى المادي خصوصا.

وفي ختام هذه الفقرة نشير أنه لابد من تجميع الجهود الموزعة هنا وهناك والتي إذا اجتمعت فسيكون لها أثر على المدى الطويل خاصة إذا كانت هذه الجهود منخرطة في مشروع قومي عربي للنهوض بالترجمة عموما والترجمة الأدبية خصوصا والمضي بها قدما نحو آفاق أرحب و أكثر ثراءا.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع هذه المذكرة لاحظنا عدة ملاحظات نراها هامة وهي قسمان: قسم خاص بدراسة للإستشراق عامة، وقسم خاص بالترجمة الأدبية من العربية إلى اللغات الأجنبية،و بخاصة الفرنسية.

في ما يخص القسم الخاص بالاستشراق فإننا توصلنا إلى النتائج التالية:

1-أولا: كانت دراسات الإستشراق للعالم العربي الإسلامي في أغلبها منصبة على الجانب العقدي الشرعي وكيف تعامل المستشرقون مع العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم كيفية قيام الدولة الإسلامية ومبادئها وحياة رجالاتها خاصة حياة النبي الكريم صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ثم الدول الإسلامية المتعاقبة على مر العصور وحدث من خلال ذلك تصادم في الآراء بين المفكرين والعلماء والمؤرخين العرب ونظرائهم من المستشرقين، وهي صداميات منطقية بالنظر إلى ما تناثر في كتب الإستشراق من تحاليل وأحكام اتسمت في قسم منها بالجزافية والتسرع وعدم النضج.

2-ثانيا: دراسة التاريخ العلمي والفكري للإستشراق بصفة موسعة وشاملة مازال غائبا نوعا ما، فنحن قد نجد دراسات عن أهم رجالات الإستشراق ونتاجهم الفكري لكنها تبقى دراسات منصبة على جوانب محددة بعينها، وكذا متوجهة نحو شخصية المستشرق وتصنيفها إما بالاعتدال أو التعصب، وهي أمور وإن كان لها ما يفسرها إلا أنها تبقى نقائص مهمة في هذا المجال من الدراسات.

3-ثالثا: لابد من الإشارة إلى أن دراسة الإستشراق في العالم العربي الإسلامي على غرار الدراسات الأخرى سواء في العلوم التقنية أو الإنسانية مازالت تبحث لها عن

إطار مؤسس، فالمستشرقون الأوربيون ينشطون في مجال مؤسس ضمن جامعاتهم أو مؤسسات حرة كمراكز الدراسات المنتشرة في أنحاء أوروبا وأمريكا والمتخصصة في دراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مثلا، وهي مراكز وجامعات تضمن التمويل للباحثين وتضمن لهم الظروف الملائمة لعملهم، في حين أننا نجد الباحث العربي لازال يتخبط في مشاكل بعيدة كل البعد عن مجال البحث العلمي مما يضعه في مأزق وجودي حقيقي بالنظر للمسؤوليات التي يفرضها –على الأقل- عليه ضميره وواجبه نحو أمته.

4-رابعا: إضافة إلى كل هذا نجد أن كبار المستشرقين قد أسسوا لأنفسهم مكانة راقية ضمن وعي النخبة العربية المثقفة التي عاصرت النهضة العربية الحديثة وبالتالي فقد اعتبروا شخصيات علمية ذات مصداقية عظيمة وأن نتاجها العلمي والفكري بعيد كل البعد عن الشبهات وبالتالي فقد زاد ذلك من ثبات مكانتهم ووفر لهم حصانة من لدن بعض مثقفينا البارزين والذي شكلوا بذورهم قاعدة خلفية لأفكار الإستشراق قديمها وحديثها وهو أعاق نشأة منهج متكامل للتعامل مع هذا الإرث المتواصل إلى يومنا هذا. هذا فيما يخص الشق المتعلق بالا ستشراق وتعامله معنا كأمة وكحضارة وكذا تعاملنا مع إرثه المتنوع.

أما فيما يتعلق بالأدب ودراسته فهناك عدة نتائج توصلنا إليها اهمها النقاط التالية:

1-أولا: دراسة الأدب العربي القديم خاصة الموروث الشعري لم تكن من أولويات المستشرقين الأوائل، أولا لاهتمامهم بالجوانب العقدية والفكرية والفلسفية ثم التقنية آنذاك، وثانيا لصعوبة ترجمة الشعر العمودي خاصة، ولو بحثنا لوجدنا أن جل ما جذب اهتمامهم من أعمال كانت الأعمال المترجمة إلى العربية بدورها من ثقافات

أخرى مثل كليلة ودمنة وحكايات ألف ليلة وليلة. بعد ذلك بدأت أجيال المستشرقين في العصور المتأخرة تهتم بالنتاج الأدبي العربي الإسلامي نظرا لما تضمنه من جلاء وبيان لملامح الشخصية المسلمة أولا والعربية بعد ذلك، وتركز ذلك وقي بعد ظهور الرواية كجنس أدبي مستقل أصبح عند المختصين يمثل ديوان العرب الجديد ولسان حالهم ومعتقداتهم وكتال حياتهم في كل جوانبها.

2–ثانيا: كانت ترجمة هذا الأدب هي الباب ولازالت خاصة مع تطور فن الرواية سريعا خاصة في العقود الأخيرة، لكن الترجمة الأدبية لم تكن عملية بريئة ولازالت محل مد وجزر بين المستعربين المتخصصين من أبناء الإستشراق وأبناء هذه الأمة من أدباء ومفكرين وغيرهم، ولعلنا ندرك أن أهم ما يميز هذه الجدلية هو غياب التعاون بين الطرفين إلا في أحيان قليلة، إضافة إلى السمة المميزة وهي تبادل الاتهامات من كل طرف نحو الآخر، والانتقائية المنهجية التي تميز عمل المترجمين من المستشرقين الذين كما رأينا في أغلب الأحيان ينطلقون من إيديولوجيات ومبادئ هي التي تحكم عملية الترجمة الأدبية ومسارها وهو الأمر الذي لا ولن يخدم أبدا حركية أدبنا العربي وصورة حياتنا التي يعبر عنها في هذا العمل الأدبي أو ذاك.

3–ثالثا: من جانب آخر يجب أن لا نتناسى أن الترجمة كعلم قائم بذاته لازالت بحاجة لتأسيس واقعي من خلال برامج رائدة تحمل لواءها وتعين على قيامها وأخذها المكانة اللائقة بها، فعلى الرغم من ظهور بعض المبادرات هنا وهناك في بعض البلدان العربية واستمرارها إلا أن ذلك لا يكفي ولا يفي بحق الأدب العربي عامة لظروف وأسباب سقنا بعضا منها في معرض حديثنا في متن هذه المذكرة.

أخيرا وليس آخرا لابد من الإشارة إلى أن احترامنا لأدبنا وتقييمه حق قيمته خاصة الحديث منه يعد خطوة هامة في طريق الاعتراف به من لدن الآخر –وبالأخص إذا عملنا نحن على ترجمته وتسويقه ضمن إستراتيجية مدروسة ومحكمة تسمح له بتبوء مكانته التي نظنه أهلا لها بين ما يسمى الآن بالآداب العالمية.

قائمة

المصادر و المراجع

-المصادر و المراجع العربية:

1- طبقات فحول الشعراء. إبن سلام الجمحي. تحقيق محمود محمد شاكر.دار المعارف.القاهرة.1952م.

2- لسان العرب.إبن منظور الإفريقي المصري. دار صادر.بيروت.المجلد الثاني عشر.ط6. 1417ه/1997م.

3- تاريخ الجزائر الثقافي.أبو القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي.الجزء السادس.ط1. 1998م.

4- الحيوان،الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر.تحقيق عبد السلام هارون.دار الجيل.بيروت.1988م.

5- فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر.أحمد اسمايلوفيتش. دار الفكر العربي.د ط. 1998م.

6- الإستشراق الفرنسي و الأدب العربي.أحمد درويش.دار غريب القاهرة.د ط. 2004م.

7- تاريخ الأدب العربي.أحمد حسن الزيات. دار المعرفة.ط4. 1418ه/1997م.

8- الإستشراق:المعرفة-السلطة-الإنشاء.إدوارد سعيد. ترجمة كمال أبو ديب.مؤسسة الأبحاث العربية.الطبعة العربية السادسة. 2003م.

9- تعقيبات على الإستشراق.إدوارد سعيد. ترجمة و تحرير صبحي حديدي.المؤسسة العربية للدراسات و النشر.ط1. 1996م.

10- علم الترجمة النظري .اسعد مظفر الدين الحكيم.دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر.ط 1. 1989م.

11- القاموس المحيط.الفيروزآبادي،مجد الدين. دار إحياء التراث العربي.مؤسسة التاريخ.بيروت.الجزء الأول،ط1. 1417ه/1997م.

12- الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر.الطيب بن ابراهيم. دار المنابع.د ط.2004م.
13-المنجد في اللغة و الأعلام.دار المشرق.بيروت.ط 40. 2003م.
14-المنجد في اللغة العربية المعاصرة.دار المشرق.بيروت.ط2. 2003م.
15- الترجمة الأدبية:مشاكل و حلول.إنعام بيوض. دار الفارابي.بيروت.لبنان.ط1. 2003م.
16- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في القرون الوسطى.جوزيف نسيم يوسف. مؤسسة شباب الجامعة للطباعة و النشر و التوزيع.د ط.1988م.
17- الإستشراق و الوعي السالب.خيري منصور. مكتبة مدبولي.ط2. 2005م.
18- الظاهرة الإستشراقية.ساسي سالم الحاج. دار المدار الإسلامي.الجزء الأول.الطبعة الأولى.2003م.
19- نقد الخطاب الإستشراقي.ساسي سالم الحاج. دار المدار الإسلامي.الطبعة الأولى.2005م.
20- الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية.سالم العيس. منشورات إتحاد الكتاب العرب.د ط.1999م.
21- المنهل:قاموس فرنسي-عربي.سهيل إدريس. دار الكتاب.د ط.2004م.
22- الحضارة الإنسانية بين الشرق و الغرب.سامي اليافي. مطبعة العالم العربي.ط1.د ت.
23- موسوعة المستشرقين.عبد الرحمن بدوي. دار الفكر العربي.ط1.1996م.
24- الأدب و الإرتياب.عبد الفتاح يليطو. دار توبقال للنشر.ط1. 2007م.
25- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي.عبد العظيم الديب. كتاب الأمة رقم 27.ط1.ربيع الثاني 1411هـ.

26- الإستشراق بين دعاته و معارضيه.محمد أركون و آخرون. ترجمة و إعداد هاشم صالح.دار الساقي.الطبعة الأولى.1994م.

27- علم الترجمة بين النظرية و التطبيق.محمد ديداوي. دار المعارف للطباعة و النشر.سوسة.ط 1.1992م.

28- الإستشراق و الدراسات القرآنية.محمد دراجي. دار البلاغ.دط.دت.

29- الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبيق.محمد العناني. مكتبة لبنان ناشرون.الشركة المصرية العالمية للنشر.لونجمان.ط 1.1997م.

30- فن الترجمة في الأدب العربي.محمد عبد الغني حسن. الدار المصرية للتأليف و الترجمة.دط.1966م.

31- المستشرقون.نجيب العقيقي. دار المعارف.ط4. 1980م.

32- شخصيات من الشرق و الغرب.نجم الدين غالب الكيب. دار الكتاب اللبناني.بيروت.دط.1969م.

33- ارتباكات الهوية:أسئلة الإستشراق في الرواية العربية-الفرنكوفونية.نورة فرج. المركز الثقافي العربي.ط1. 2007م.

-المراجع الأجنبية:

1- dictionnaire encyclopédique AUZOU. 2005.

2- la littérature algerienne.JEAN DEJEUX. editions que sais-je ?presse universitaire de France.2eme edition.1979.

3- dictionnaire historique de la langue française.LE ROBERT. 1992.

4-LE PETIT LAROUSSE.larousse.2005.

5- dictionnaire de la langue française.LE LITTRÉ. hachette.2001.

-المجلات:

1- ألف.عمان،الأردن.العدد الأول.2003

2-المجلة العربية.الكويت.العدد 01. 1977م.

3-المجلة الجامعية.المركز الجامعي الأغواط.العدد 01.مجلد 03.ماي 2003م.

4- التواصل.جامعة تلمسان.العدد 12.جوان 2004م.

5- المصطلح.جامعة تلمسان.العدد 01. 2002م.

6- شراع.المغرب.العدد 40. 1998م.

7- عالم الفكر.وزارة الثقافة الكويتية.العدد 4. 1977م.

8- علامات في النقد.جدة.العدد 45. 2001م.

9- فكر و فن.معهد غوته.المانيا.العدد 79.السنة الثالثة و الأربعون.2004م.

10- فكر و نقد.المغرب.العدد 80/79.أبريل/ماي2006م.

-المواقع الإلكترونية:

1- مركز المدينة المنورة للدراسات الإستشراقية.www.madinacenter.com.

2- الجمعية الدولية للمترجمين العرب

.www.wata.com-.

3- الجمعية العربية للترجمة و حوار الحضارات.

www.atida.com.

الفهرس العام

-المقدمة.

-المدخل :.....01

-ماهية الترجمة:.....02

-لغة.....03

-اصطلاحا.....04

-ماهية الترجمة الأدبية :.....06

-شروط الترجمة الأدبية.....06

-الإستشراق و الترجمة الأدبية 12

-الفصل الأول:الإستشراق،مساره،مراحله و أهم مدارسه 19

-تمهيد.....20

-تعريف الإستشراق.....23

-لغة.....24

-اصطلاحا.....27

-دوافع الإستشراق:.....31

-الدوافع الدينية.....31

-الدوافع العلمية.....33

-الدوافع الإستعمارية.....35

-الدوافع النفسية.....37

-الدوافع الإقتصادية.....37

-مراحل الإستشراق:.....41

-الطور الأول.....42

-الطور الثاني.....46

-الطور الثالث.....50

-مدارس الإستشراق:.....53

-المدرسة الإيطالية.....53

-المدرسة الإنجليزية.....55
-المدرسة الروسية.....57
-المدرسة الأمريكية.....58
-الفصل الثاني:المدرسة الإستشراقية الفرنسية 61
-تمهيد.....62
-تاريخ العلاقات الثقافية بين فرنسا و العالم العربي.....62
-كراسي اللغات الشرقية.....68
-المكتبات.....73
-أهم المستشرقين الفرنسيين.....87
-الفصل الثالث:عبور النص الأدبي العربي إلى الفرنسية بين إرث الإستشراق و تحديات العولمة 102
-الترجمة الأدبية بين الإمكانية و الإستحالة.....103
-آراء إستشراقية في الموضوع.....110
-الترجمة الأدبية بين الإنتقائية و الخيانة.....113
-تاريخ ترجمة الأدب العربي إلى الفرنسية.....120
-ترجمة الأدب العربي و عقلية المؤامرة.....127
-ترجمة النص العربي القديم.....131
-خاتمة.....137
-قائمة المصادر و المراجع.....142
-الفهرس العام.....148

Abstract:

This note does not aim to develop theories, but it is a modern vision of French Orientalism relationship with Arab heritage from the encounter with the West since the Middle Ages, and in the first Islamic caliphate in Spain crusades.

then we try to emphasize the history of the interest of France to the Arab-Islamic heritage, especially its relationship with Arab literature in particular and its translation into modern French.

Then, this note was trying to address in detail the most important problems that prevent the spread of Arabic literature in France and Europe, citing the advice of an expert panel of infiltration in the translation of literature Arabic.

Key words:

Orientalism, literature, literary translation, acculturation, culture, self and other

Résumé:

Cette note ne vise pas à établir des théories , mais c'est une vision moderne de la relation de l'orientalisme français avec le patrimoine arabe depuis la rencontre avec l'Occident depuis le Moyen Age, puis dans le premier califat islamique en Espagne, les croisades.

ensuite on a essayer de souligner l'histoire de l'intérêt de la France pour le patrimoine arabo-islamique, et surtout sa relation avec la littérature arabe en particulier et sa traduction dans l'ère moderne vers la langue française.

Ensuite, la présente note a essayer d'aborder en détail les problèmes les plus importants qui empêchent la propagation de la littérature arabe en France et en Europe, citant l'avis d'un groupe de spécialistes d'infiltration dans la traduction de la littérature arabe.

Mots clés:

L'orientalisme, la littérature, la traduction littéraire, l'acculturation, la culture, et d'autres.

الملخص:

إن هذه المذكرة لا تحاول أن تؤسس لنظريات أو أحكام ،بل هي رؤية معاصرة لعلاقة الاستشراق الفرنسي بالتراث العربي منذ لقاء الشرق بالغرب منذ العصور الإسلامية الأولى ثم في عهد الخلافة في الأندلس،ثم الحروب الصليبية بعد ذلك.

عملت هذه المذكرة على تسليط الضوء على تاريخ اهتمام فرنسا بالتراث العربي الإسلامي،و علاقتها خاصة بالأدب العربي و ترجمته في العصر الحديث إلى اللغة الفرنسية.

ثم حاولت هذه المذكرة أن تتطرق بشيء من التفصيل لأهم المشاكل التي تعترض طريق انتشار أدبنا العربي في فرنسا و أوروبا،مع الاستشهاد بآراء مجموعة من المستعربين المتخصصين في ترجمة الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية:

الاستشراق،الأدب،الترجمة الأدبية،التثاقف،الحضارة،الأنا و الآخر.